موسوعة الإمام علي (ع)

الإمام علي (ع) من المهد إلى اللحد I

المجلد الثالث عشر

المركز الثقافي اللبناني

الإمام علي عليه السلام
من المهد إلى اللحد

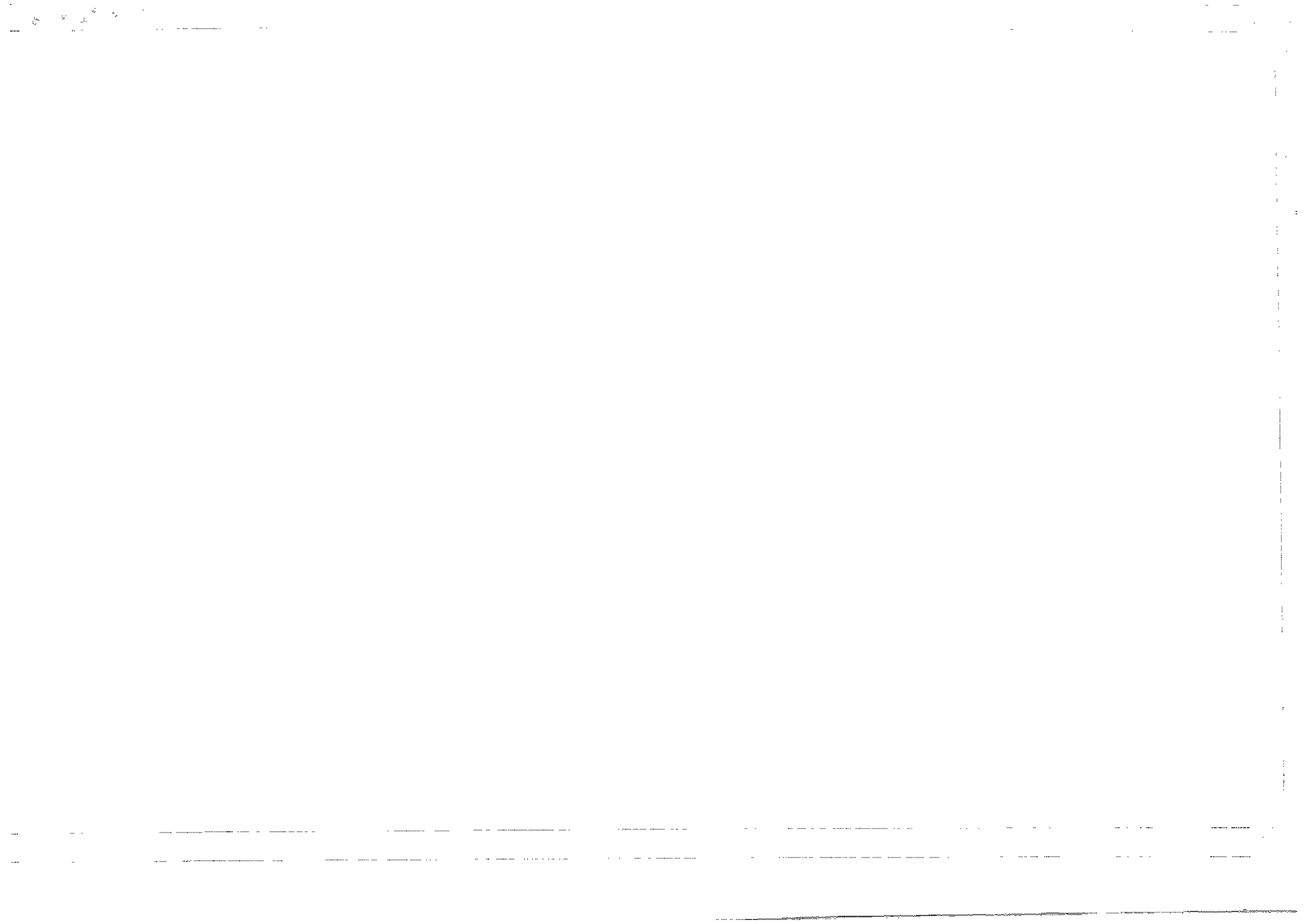

الإمام علي عليه السلام

من المهد إلى اللحد

السيد محمد كاظم القزويني

الجزء الأول

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ع ٢٧٠
التاريخ ٢٠١٥/٥/١٠

المركز الثقافي اللبناني

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى

1424 هـ 2004 م

المركز الثقافي اللبناني
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

Lebanese Cultural Center
For Printing, Publishing, Translation & Distribution

الإدارة العامة:
بيروت - الحدث، هاتف: ٤٦١٨٨٨ - ٥ - ٩٦١
فاكس: ٤٦١٧٧٧ - ٥ - ٩٦١ - خليوي: ٧٥٣٦٦٣ - ٣ - ٩٦١
Web site: www.lccpublishers.tk

General Management:
Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461888
Fax: 961-5-461777, Mobile: 961-3-753663
E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com

الإهداء

إليك يا أمينَ الله في أرضه، وحجَّته على عباده.

إليك يا خاتم الأوصياء ومنقذ الأُمة والإمام المنتَظَر.

إليك يا سيدنا يا صاحب الأمر أيها المهدي.

إليك ـ روحي لك الفداء ـ أهدي صحيفة ولائي لجدّك الأكبر سيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه وعليك السلام).

فتفَضَّل بقبول بضاعتي المزجاة، وتصدَّق علينا إنَّ الله يَجزي المتصدِّقين.

المنتظر لدولتكم

محمد كاظم القزويني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله كما يرضى، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله سادات الورى.

وبعد: كم أنا معجب بحياة أولياء الله الذين كانوا المظهر الصحيح الكامل للإنقياد والخضوع لأوامر الله تعالى وإرادته وإني لا أعرف في قاموس اللغة العربية ألفاظاً كافية في التعريف والتعبير عن شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لا أكتب هذا بقلم العاطفة والغلو ولا طمعاً في ربح مادي للجائزة الدنيوية بل بقلم الواقع والحقيقة، أنظر إلى الحقائق وأذكر انطباعاتي عنها وسيظهر صدق هذا الكلام من خلال سطور الكتاب، ويتَجلّى الحق الواضح لكل مَنْ يقرأ هذا الكتاب مجرّداً عن الاتجاهات.

كلمة [العظيم] لا تكفي لبيان عظمة الرجل، وخاصة بعد أن استعملتْ هذه الكلمة في الكثير ممن يستحق ذلك أو لا يستحق، مع العلم أنَّ العظمة تتفاوت من حيث القلّة والكثرة والضعف والشدّة وكذلك سائر الصفات الحميدة التي يُعبَّر عنها بالفضائل وينعت بها الرجال.

فكيف أستطيع أنْ أصف الإمام حق الوصف، وأُؤدّي واجب المقام حق الأداء، وكلما حاولتُ أن أطير بقلمي إلى أرفع مستوى في البيان وأعلى درجة في الأداء، مع ذلك كله فالعجز عن التعبير لا يفارقني، والأفضل أن نذكر حياة الإمام بكل بساطة، ونُحيل إدراك الموقف وأهمية الحال إلى فكرة القارىء وذهنه وفَهمه الفِطري، وهذا أولى مِنْ تنميق الألفاظ وتنضيدها وتكوين كتلة مِن الألغاز أو الكنايات التي تشبه كتب اللغة ولكن مِنْ غير تبويب وتنظيم!!

هناك صفات تميل إليها النفوس وتحبها وتحب من يتّصف بها ويُقال لها: الفضائل كالعلم والشجاعة والكرم وغيرها.

وهناك أيضاً صفات تنفر منها الطباع وتكره مَنْ يتصف بها ويقال لها: الرذائل، كالجهل والجبن والبخل وغيرها، وهي أضداد الفضائل والصفاتِ الحميدة، كلتا الطائفتين مِن الصّفات تقلّ في النفوس وتكثر، وتضعف وتشتد، فقد يبلغ الكرم القِمَّة، وقد ينتهي البخل إلى الحضيض وهكذا الكلام في باقي الفضائل والرذائل، ونحن حينما نراجع ترجمة حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نجدها حافلة بالفضائل بأقصى درجة ممكنة وأرفع مستوى يُتصوَّر، منزّهة عن كل ما يمسّ ويحطّ ويشوّه (بجميع معنى الكلمة) بقدسيَّة الإمام وجلالته، وليس هذا إدعاءً أجوف، بل محتويات الكتاب كلها شواهد وبراهين على ما نقول، بل التاريخ الصحيح أقوى دليل وكتاب الله أقوى حجَّة ومَنْ أصدق مِن الله قيلا وأختم مقدمتي هذه بكلمتي الوجيزة:

أقول: إنّ الله تعالى الذي هو على كل شيءٍ قدير ولا يعجزه شيءٌ شاء أن يظهر لعباده الفرد الكامل مِن خلقه ليُريهم قدرته على الإبداع في الصنع ويبرهن لهم على أنَّ مِن الممكن أن يقرّب الله البشر

إلى أعلى درجة من الشرف يمكن للموجود أنْ يبلغها، فخلق الله محمداً ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام ليكون كل واحد مثالاً كاملاً للقدرة الإلهيَّة، وشاهِداً حيًّا لأرقى موجود في مراتب الصعود.

وكثيراً ما كنتُ أُحدّث نفسي بتأليف كتاب يتضمن الإشارات إلى بعض مواهب هذا الإمام، المقتدى لقوافل الإنسانية عَبْرَ القرون والأجيال والدهور، ولكن التفكير حول أهمية هذا العبء الثقيل وخطورة الموقف وضآلة وضعف البيان وسعة البحث كلها كانت موانع تحول دون الخوض في هذه المعركة العلميَّة الفكريَّة!

حتى إذا إقترب شهرُ رمضان المبارك من سنة 1386هـ وثارتْ في النفوس ثورة العبادة ونهضة الدين وانتبهتْ غرائز الإقبال على فعل الخير واستعدَّ إخواننا الشباب لإعادة مجلسهم السنوي في ليالي شهر رمضان وكان لي شرف الخدمة والتكلّم في ذلك المجلس الذي كانت الحياة تنفجر مِن نواحيه، وينبعث النشاط مِنْ جوانبه، ففكرتُ حول إختيار حديث إسلامي متسلسل، لله فيه رضى وللمستمعين فيه أجر وثواب.

وأخيراً: تقرَّر أن نتحدَّث حول شخصية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ونجعلها محور كلامنا، وندور في فلكها لما في ذلك مِن فوائد دينية، علمية، روحية، تربوية، تنفع العباد والبلاد.

فالتحدُّث عن أمير المؤمنين يشمل التكلّم عن الإسلام في جميع مجالاته وخاصة في دور التكوين والتأسيس وعن مدى تأثير التربية الإسلامية في النفوس وتبلورها ببركة تلك التعاليم وتَكَهْرُب النفوس بنفسية النبي ﷺ تلك النفسية القوية بالمبدأ الأعلى.

نذكر في هذه الصحائف شيئاً عن حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ظِل الإسلام وبعض مواقفه في المواطن الخَطِرة التي قلَّ أنْ يثبت لها أحد، باستقبال الأخطار التي ارتعدتْ منها الفرائض وخفقتْ عندها القلوب خفقان الطير.

تبدأُ تلك الحوادث المتسلسلة مِن أيام بعثة النبي صلى الله عليه وآله والشروع بالدعوة الصامتة، والناطقة والسرِّية والعلَنية وأدوار تلك الدعوة وتطوّرها في مكة، وتنتهي بهجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة.

وهنا يتطوّر الموقف إلى العمل بصورة أوسع وأصعب، ويبدأُ دور الحروب والغزوات والمجازر التي أجَّجَ الكفارُ نارها، فارتوت الأرض مِن الدماء وانقلبت البوادي إلى مقابر.

نذكر مواقف الإمام عليه السلام في تلك المراحل المذهلة، واستعداده للتضحية في سبيل المبدأ بحيث ما كان يقف في طريقة شيءٌ يُغيِّر إتجاهه وإنطباعه عن الدين.

وتنتهي فترة الجهاد بوفاة الرسول الأعظم، فيتطوّر الجهاد بنوع مِن السكوت والصبر أو الكلام بما يقتضيه الحال وما تفرضه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

ينقضي ربع قرنٍ والإمام جليس بيته، مسلوب الإمكانيات فاقِداً قدرة النهوض بأعباء الخِلافة وما هناك مِنْ لَوازم ومتطلبات ومسؤولية أمام الله والتاريخ لأنَّ المسؤولية تابعة للقدرة والقوَّة ونفوذ الكلمة وجوداً وعدماً.

وتنتهي تلك الفترة المؤلمة بمَقتل عثمان وانتقال الخِلافة إلى الإمام مرة ثانية بعد انتزاعها منه إثر واقعة الغدير.

فيبدأُ دور المسؤولية وبيان مسؤوليات الحُكم في القانون الإسلامي، وتطبيق أحكام الله في جميع المجالات، والإصطدام بالنزعات والإتجاهات المخالفة وما هناك من مشاكل وعراقيل ومواقف حَرجة.

نسير مع التاريخ حيث سار الإمام حتى ينتهي البحث بشهادة الإمام عليه السلام، وما هناك مِن نماذج مِن العدالة الإلهية ونفسيات طيبة تَتجلّى في وصايا الإمام عندما أحسَّ بخَطَر الوفاة.

نتمِّم هذا البحث بما تيسَّر مِنْ كلمات الإمام وتعاليمه القيمة وفضائله ومكارم أخلاقه. وبذلك ينتهي الكتاب إنْ شاء الله.

ونضطر أنْ نقتطف مِن كل حادثة جملة ترتبط بالإمام، ومن كل غزوة جانباً يتعلق بالذات بموقف الإمام فيها، رعاية لأُسلوب الكتاب.

وأنا على يقين أنَّ الإحاطة بجميع مزايا هذا الإمام خارج عن نطاق البشر وقدرة البيان، لأنه عليه السلام كالبحر لا يُدرك طرفاه ولا يُبلغ جانباه ولا يمكن الغوص إلى عمقه.

فالمتحدِّث عن شخصية الإمام يَجد أمامه عوالم غير متناهية، يطير في فضائلها وأرجائها، ومهما أُوتي مِن حول وقوة فإنَّ التعب يدركُه قبل أنْ يدرك مداها.

ولكن ما لا يُدرَك كله لا يُترَك كله، فلنذهب إلى المجلس المنعقد في الجامع المعروف بجامع الصافي مقابل صحن سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام لنستمع إلى ما يلي:

الليلة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الكرام البررة.

وبعد: لقد اتفقنا أنْ نَجعل حديثنا وبحثنا في هذا الشهر عن أكبر شخصية عرفها التاريخ بعد الرسول الأعظمﷺ.

وهي شخصية سيدنا ومولانا الإمام المرتضى أبي الحسن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه آلاف التحية والثناء، ونبدأُ حديثنا بولادة الإمامعليه السلام في الكعبة.

ولا بأْس قبل الخوض في بيان الواقعة، بذكر مقدمة تمهيديَّة فنقول:

نحن بصفتنا مؤمنين بالله وبالقرآن العظيم لا مَحيص لنا عن قبول الأمور الخارقة للعادة والتي هي ما وراء الطبيعة، المذكورة في القرآن الكريم، ويُقال لها: (الماورائيات) أو (الميتافيزيقيا).

فإنَّ القرآن الكريم يتضمَّن أكبر كميَّة مِن الحوادث الماورائيات، ولا نستطيع (بصفتنا مسلمين) أنْ نرفضها أو نتردَّد في قبولها، وخاصة

بعد أنْ آمنَّا أنَّ القرآن كتاب من عند الله لا يأتيه الباطلُ مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفه.

مثلاً: طبيعةُ النار هي الإحراق، وإسناد الإحراق إلى النار مِن الأُمور البديهيَّة الثابتة، والقرآن الحكيم يحدثنا عن إبراهيم وأنه لما كسّر الأصنام حَكَمَ المشركون عليه بالإعدام فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فأضرموا ناراً عظيمة إشترك جميع طبقات الناس في جَمْعِ الحَطَب لها، فوضَعوا إبراهيم الخليل في آلةٍ تُسمى (المنجَنيق)، وقَذَفوه مِن مكان بعيد في وَسَط تلك النار العظيمة.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في الحديث ـ في تفسير هذه الآية ـ: لما خاطب الله النارَ بقوله: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ كادَ إبراهيم أنْ يموت مِن البَرْد فقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ فسلم إبراهيم مِن الموت بالبرد.

وكذلك عصا موسى عليه السلام وانقلابها إلى ثعبان وابتلاعه الحِبال والعِصيّ التي كانت يُخيّل إليهم مِن سِحْرِهم أنَّها تَسْعى، ثم عادتْ العصا كما كانتْ.

وهكذا ما قام به عيسى ابن مريم عليه السلام مِن: إبراء الأكْمَه (الذي وُلِدَ أعمى) والأبرَص. وإحياء الموتى حتى الذين انقضتْ على وفاتهم مئات السنوات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجمة في ثلاثة مواضع.

وهكذا وهلّم جرّا، مِن القضايا والحوادث الخارقة للعادة والطبيعة المستَندة إلى إرادة الله وقدرته، ويسَهل الإيمان بهذه الأُمور كلها إذا حصل الإيمان بأنَّ الله قادر على كل شيءٍ، وأن جميع

الموجودات خاضعة ومطيعة لإرادة الله تعالى.

إذا ثبت هذا فلا مانع لدى العقل مِنْ قبول انشقاق جدار الكعبة لدخول فاطمة بنت أسد حتى تضع ولدها الإمام في جوف الكعبة، وإليك الواقعة:

عَليّ وَليدُ الكَعْبَة

أَحَسَّتْ السيدة فاطمة بنت أسد بوَجَع الولادة وهي في الشهر التاسع مِن الحَمْل، وأقبلتْ إلى المسجد الحرام وطافتْ حول الكعبة، ثم وقَفَتْ للدعاء والتضرُّع إلى الله تعالى ليسهّل عليها أمر الولادة، قائلة: يا رب إني مؤمنة بكَ وبكل كتابٍ أنزلتَه، وبكلِّ رَسولٍ أرْسَلته... ومصدِّقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد بنى بيتَك العتيق، وأسألك بحق أنبيائك المرسلين، وملائكتك المقرَّبين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي... إلا يَسَّرْتَ عليَّ ولادتي.

إنتهى دعاءُ السيدة، وانشقَّ جِدارُ الكعبة مِن الجانب المسمّى (بالمستَجار) ودخلتْ السيدة فاطمة بنت أسد إلى جوف الكعبة، وارتأب الصَدَع، وعادت الفَتْحةُ والتزقتْ وولدت السيدة ابنها علياً هناك[1].

مِن المعلوم: أنَّ للكعبة باباً يُمكن منه الدخول والخروج، ولكن الباب لم يَنفتح، بل انشق الجدار ليكون أبلَغ وأوضح وأدل على خَرْقِ العادة، وحتى لا يمكن إسناد الأمر إلى الصدفة.

والغريب: أنَّ الأثر لا يَزال موجوداً على جِدار الكعبة حتى

---

(١) البحار ـ ج ٩.

الناس: إنَّ الله عز وجل اختارني مِن خَلْقه وفضَّلني على المختارات ممن مضى قبلي، وقد اختار الله آسية بنت مزاحم فإنها عَبَدت الله سِرًّا في موضع لا يحب أنْ يُعبد الله فيه إلا اضطراراً، ومريم بنت عمران، حيث هانت ويسرت ولادة عيسى فَهزَّت الجِذْع اليابس مِن النخلة في فلاة مِن الأرض حتى تساقط عليها رطباً جنياً وأن الله تعالى اختارني (فضّلني) عليها وعلى كل مَنْ مضى قبلي مِنْ نساء العالمين لأني ولدتُ في بيته العتيق، وبقيتُ فيه ثلاثة أيام آكل مِنْ ثمار الجنة وأرزاقها...[1].

وبعد هذا كله لم يَبق مجالٌ للشك في هذه الحادثة والاستبعاد مِنْ قدرة الله تعالى وإرادته، وما المانع أنْ يَختار الله لمولد وليِّه أشرف بقاع الأرض حتى يكون مولده في ذلك المكان مِنْ مزاياه التي تفرَّد بها عن الخلق أجمعين؟؟

وما المانع أنْ يمنح الله عبادَه المقربين هذه العطايا والمِنَح كي تكون لهم دليلاً على كرامتهم عند الله.

فقد ذكر الشيخ المفيد (ره) المتوفى سنة 431 في الإرشاد مولد الإمام في البيت الحرام، وكذلك مَنْ جاء بعده كالشيخ الطوسي والنسَّابة علي بن أبي الغنائم والشهيد في مزاره والسيد ابن طاووس في المصباح والعلاّمة الحلي المتوفى 736 في كتابه كشف الحق وكشف اليقين.

وتَطَرَّقَ السيد الحِمْيَري في نظمه إلى هذه المفخرة وهو مِنْ شعراء القَرْن الثاني وهو قوله:

---

(١) نفس المصدر.

اليوم بالرغم مِن تجدُّد بناء الكعبة في خِلال هذه القرون، وقد ملأُوا أثر الإنشقاق بالفضة والأثر يرى بكلِّ وضوح على الجدار المسمّى بالمستجار، والعَدد الكثير مِن الحجّاج يَلتصقون بهذا الجدار ويَتضرَّعون إلى الله تعالى في حوائجهم.

روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة ـ في أماليه ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسَين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانتْ حاملة بأمير المؤمنين عليه السلام لتسعة أشهر، وكان يوم التمام، فوقفتْ بإزاء البيت الحرام، وقد أخذها الطَلَق، ورَمَتْ بطرفها نحو السماء وقالت... إلى آخر كلامها الذي تقدَّم.

ووصل الخبر إلى أبي طالب، فأقبل هو وجماعة وحاولوا ليفتحوا باب الكعبة حتى تصل النساءُ إلى فاطمة ليساعدنها على أمر الولادة، ولكنهم لم يستطيعوا فتح الباب، فَعَلموا أنَّ هذا الأمر مِن الله سبحانه وتعالى.

وحَدَّثَتْ السيدة فاطمة بما جرى عليها في الكعبة، وقالت، فجلستُ على الرخامة الحمراء ساعة، وإذا أنا قد وضعتُ ولدي علي بن أبي طالب ولم أجِدْ وَجعاً ولا ألماً.

وبقيتْ السيدة في الكعبة ثلاثة أيام، وانتشر الخبر في مكة، وجَعَل الناس يتحدَّثون به حتى النساءُ، وازدحم الناس في المسجد الحرام، ليشاهدوا مكان الحادثة، حتى كان اليوم الثالث، وإذا بفاطمة قد خرجتْ ـ مِن الموضع الذي كان قد انشق لدخولها ـ وعلى يدها صبي كأنه فلقة قَمَر وأسرعتْ الجماهير المتجَمْهرة إليها فقالت: معاشرَ

استقبلَ سيدُنا أبو طالب السيدة فاطمة بنت أسد مهنِّئاً، وأخذ أبو طالب وليدَه الحبيب وضَمَّه إلى صَدره ثم ردَّه إلى أُمّه، وأقبلَ رَسولُ الله وذلك قبل أنْ يُبعَث فلما رآه عليٌّ جَعَل يَهش ويَضحك كأنَّه ابنُ سَنَة، مِنْ حيث المشاعر والإدراك فأخذه النبيﷺ وقبَّله وحَمَد الله على ظهور هذا المولود الذي كان يعلم أنَّه سيكون له أحسن وزير وخير أخ وأول مؤمنٍ به، وتَتحقّق به آمال رسول الله وأمانيّه بنشر دينه الذي سيُبعَث به فسلّم علي على رسول الله ثم قرأ هذه الآيات:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلى آخر الآيات، فقال رسولُ اللهﷺ قد أَفْلَحوا بك. وقرأ تمام الآيات إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

فقال رسول اللهﷺ: أنتَ والله أميرُهم تميرهم مِن علومك فيمتارون، وأنت والله دليلهم وبك يهتدون.

وأذَّن أبو طالب في الناس أذاناً جامعاً وقال: هلموا إلى وليمة ابني علي. قال: ونحر ثلاثمائة من الإبل وألف رأس من البقر والغنم واتخذوا وليمة عظيمة وقال: معاشر الناس، ألا من أراد من طعام علي ولدي فهلموا وطوفوا بالبيت سبعاً سبعاً، وادخلوا وسلموا على ولدي علي فإن الله شرَّفه[1].

وهنا سؤالان: الأول كيف تكلم علي وهو ابن ثلاثة أيام والسؤال الثاني كيف قرأ آيات القرآن والقرآن بعد لم ينزل على النبي؟.

---

(١) البحار ـ ج ٩.

وَلَـدَتْـهُ فـي حَـرَمِ الإلَـهِ وأمْـنِـهِ
والـبـيـت حـيـث فـنـاؤه والـمـسـجـدُ
بـيـضـاءُ طـاهِـرةُ الـثـيـاب كـريـمـةٌ
طـابَـتْ وطـابَ ولـيـدُهـا والـمـولِـدُ
مـا لُـفَّ فـي خِـرَقِ الـقـوابِـل مِـثْـلُـه
إلا ابـن آمـنـة الـنـبـي مـحـمـدُ

وكذلك الشاعر محمد بن المنصور السَرخسي، وهو مِن شعراء القرن السادس أشار إلى هذه الفضيلة بقوله:

ولـدتـه مـنـجـبـة وكـان ولادُهـا
فـي جـوفِ كـعـبـة أفـضـل الأكـنـان

ولم يَنفَرِد أساطين الشيعة وعُلماؤهم بذكر هذه المأثرة، بل شارَكَهم الكثير مِنْ علماء السنَّة، كالمسعودي في مروج الذَهَب وإثبات الوصية وعبد الحميد خان الدهلوي، في سيرة الخلفاء وغيرهما مِن المحدثين.

أشار عبدُ الباقي العمري وعبد المسيح الأنطاكي أيضاً إلى هذه الحادثة وأنها مِن الأُمور المتفَق عليها، وأنها مِن خصائص الإمام ولم يُشاركه أَحَدٌ قبلَه ولا بعدَه في هذه المكرُمَة، حتى قال محمود الآلوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري ما هذا نصه: (وفي كون الأمير كرَّم الله وجهَه وُلدَ في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا وذُكِرَ في كُتب الفريقين السُنَّة والشيعة... ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه، وأحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، سبحان مَنْ يَضع الأشياء في مواضِعها وهو أحكمُ الحاكمين).

الليلة الثانية

علي أوّل المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله، والصلاة والسلام على محمد وآله خير البرية.

كلامنا الليلة: حول التربية الإسلامية التي تربّاها عليعليه السلام خلال السنوات الطوال التي قضاها مع النبيصلى الله عليه وآله منذ نعومة أظفاره حتى بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة، وهي المدة التي عاش فيها مع الرسول، ولا أملك بياناً كافياً لوصف تلك التربية المدهشة، وتأثيرها في نفس عليعليه السلام، والأفضل أن نستمع إلى كلام عليعليه السلام في هذا الموضوع، فإنه يشرح لنا مدى اختصاصه والتصاقه بالنبيصلى الله عليه وآله من صغر سنه، يذكرعليه السلام ذلك في خطبته الجليلة المعروفة بالقاصعة، قالعليه السلام:

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر. وقد علمتم موضعي من رسول اللهصلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره،

أما الجواب عن السؤال الأول: إن القرآن الكريم يصرح بتكلم عيسى لما حملته أمّه مريم وجاءت به إلى قومها، فسألها قومها عن عيسى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي سلوا الطفل فإنه يخبركم عن الحقيقة. قال اليهود: كيف نُكلّم من كان في المهد صبياً؟ قال (عيسى): ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ فإذا أمكن أن يتكلم عيسى في المهد صبيا فما المانع أن يتكلم علي وهو طفل فإن كان عيسى نبياً فعلي خليفة نبي ووصيّه وليس ذلك على الله بعزيز، وليس هذا بمستحيل أمام قدرة الله تعالى فإن الله على كل شيءٍ قدير.

والجواب عن السؤال الثاني: إن القرآن الحكيم يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ مع العلم أن القرآن نزل على النبيﷺ في خلال ثلاث وعشرين سنة، من يوم مبعثه إلى أيام قبل وفاته، فما المقصود من هذه الآية المباركة التي تصرح بنزول القرآن في ليلة القدر؟ هناك أحاديث متواترة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية مفادها: أن القرآن أُنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة ومن السماء الدنيا نزل تدريجياً ومن هنا يُستفاد أن القرآن كان موجوداً في السماء قبل نبوة محمدﷺ.

فالطفل الذي اختار الله له الكعبة مولداً وأنطق لسانه يوم ولادته لا مانع عند العقل أن يلهمه الله شيئاً من كتابه المخلوق الموجود في السماء.

وكانت ولادته يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، بعد مضي ثلاثين سنة من عام الفيل. وقيل: أقل من ذلك، والله العالم.

وذكر الثعلبي في تفسيره عن مجاهد قال: كان من نعم الله على علي بن أبي طالب عليه السلام وما صنع الله له وزاده من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة (قحط) شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ للعباس عمه وكان أيسر بني هاشم ـ: يا عباس أخوك أبو طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله. قال العباس: نعم فانطلقا، حتى أتيا أبا طالب فقالا: نريد أن نخفف عنك عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال أبو طالب: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما. فأخذ النبي صلى الله عليه وآله علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، واتّبعه علي فآمن به وصدّقه... الخ.

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً، فانتخبه لنفسه واصطفاه لمهمّ أمره، وعوّل عليه في سرّه وجهره، وهو مسارع لمرضاته موفق للسداد في جميع حالاته، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في ابتداء طروق الوحي إليه، كلما هتف به هاتف أو سمع من حول رجفة راجف، أو رأى رؤياً أو سمع كلاماً يخبر بذلك خديجة وعلياً عليه السلام ويستسرهما هذه الحالة فكانت خديجة تثبّته وتصبّره، وكان علي عليه السلام يهنئه ويبشره ويقول له: والله يا ابن عم ما كذب عبد المطلب فيك، ولقد صدقتِ الكهان فيما نسبته إليك، ولم يزل كذلك إلى أن أُمر صلى الله عليه وآله بالتبليغ. فكان أوّل من آمن به من النساء خديجةُ، ومن الذكور أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعمره يومئذ عشر سنين، وكانت السيدة خديجة الكبرى عليها السلام تشاهد النبي يعطف ويحنو على علي عليه السلام ويتولى رعايته منذ نعومة أظفاره، فكانت السيدة خديجة تستزيده وتزيّنه وتحلّيه وتلبسه وترسله مع جواريها، ويحمله خدمها.

ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه.

وكان يمضع الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بحراءٍ فأراه ولا يراه غيري.

ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت يا رسول الله: ما هذه الرنة؟ فقال: إنه الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي. ولكنك وزير وإنك لعلى خير»[1]. فقد روى العلامة الحلي عليه الرحمة في كشف اليقين وغيره...:

وقال رسول الله ﷺ ـ لفاطمة بنت أسد ـ: إجعلي مهده بقرب فراشي، وكان رسول الله ﷺ يلي عليًا أكثر تربيته، وكان يُطهّر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن (يجعله في فمه) عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويقول: هذا أخي ووليي، وصفيي، وذخري وكهفي وظهري، ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكة وشعابها وأوديتها[2].

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) البحار ـ ج ٩.

منزلة أعلى ولا حال أدلّ على الفضيلة والإمامة.

بناءً على هذا اهتم رسول الله ﷺ غاية الاهتمام وبذل ما في وسعه في تربية علي عليه السلام وتأديبه وتقوية نفسه وتوجيهه، وطبع غرائزه على أحسن ما يرام وتعليمه الفضائل والمكارم.

فأنتجت تلك التربية الإسلامية في نفس علي عليه السلام أحسن الأثر، وتربى تحت ظل الرسول أفضل تربية، واجتمعت فيه جميع المؤهلات للصعود إلى أعلى مرقاة، فاستحق أن يجعله الله نفس النبي في آية المباهلة، وكملت فيه الكفاءة والإنسانية بجميع معنى الكلمة حتى صار أهلاً لكل منحة إلهية وعطية ربانية وصار جديراً بالولاية والخلافة، والوصية، والوراثة، وبكل عظمة وكل تقدير من الخالق والمخلوق، وكل إكبار وإعجاب من الرسول، وتجلت فيه الفُتوّة والشهامة، والاعتماد على النفس، والإحساس بالشخصية وعظمة النفس حينما قدم لتقبُّل أكبر مسؤولية في العالم، واستعد للقيام بأكبر مهمة من أقل لوازمها التضحية بكل غال ونفيس، وذلك يوم الدار أو الإنذار، وإليك الواقعة:

في أمالي الشيخ عن ابن عباس عن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ دعاني رسول الله ﷺ فقال لي: يا علي إن الله تعالى أمرني: أن أنذر عشيرتك الأقربين. قال: فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُّ على ذلك.

فاصنع لنا يا علي صاعاً من طعام، واجعل عليه رِجلَ شاة، واملأ لنا عسًّا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلّمهم، وأبلّغهم ما أُمرت به. ففعلتُ ما أمرني به، ثم دعوتهم أجمع وهم

وقد أجمع علماءُ النفس والتربية واتفقت كلمتهم على أن جميع نفسيات الإنسان وأخلاقه وصفاته إنما هي انطباعات التربية التي تركزت في نفسه منذ صغره، بحيث يمكن لنا أن نعرف مصير الطفل ومستقبله من منهاج التربية التي قام بها الوالدان والمربي تجاه الطفل في صباه.

فالحقارة والعقد النفسية والدناءة والخمول وما شاكلها من الصفات التي تظهر في الناس إنما هي من ولائد التربية الفاسدة في باكورة حياتهم.

وكذلك شرافة النفس وعلو الهمة، وقوة الروح وما شابهها إنما هي من نتائج التربية الصحيحة في أيام الصبا.

وفي المناقب: عن أبي رافع أن النبيﷺ... قال لِعمّه أبي طالب: إني أُحب أن تدفع إليَّ بعض وُلدك، يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي، فقال أبو طالب: خُذ أيّهم شئت. فأخذ علياًعليه السلام فاستقى عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة، وتهدلت أغصانه عن نبعة الإمامة، ونشأ في دار الوحي، ورُبّي في بيت التنزيل، ولم يفارق النبيَّﷺ في حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر الناس، إذ كانعليه السلام في أكرم أرومة، وأطيب مغرس، والعرق الصالح ينمي والشهاب الثاقب يسري...

ولم يكن الرسول ليتولى تأديبه، ويتضمن حضانته وحسن تربيته إلا على ضربين:

إما على التفرس فيه، أبو بوحي من الله تعالى، فإن كان بالتفرس فلا تخطىء فراسته، ولا يخيب ظنه، وإن كان بالوحي فلا

ساقاً، فقلت: أنا ـ يا نبي الله ـ أكون وزيرك على ما بعثك الله به...

قال: فأخذ بيدي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه.

وفي رواية فقال: لَيقومنَّ قائمكم أو ليكونن من غيركم ثم لتندمن، ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام عليٌ فبايعه ثم قال لهﷺ: أدنُ مني، فدنا منه ففتح فاه، ومجَّ من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب: بئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك فملأت فاهه ووجهه بزاقاً! فقال النبيﷺ: ملأْته حكماً وعلماً وفهماً[1].

وللمأمون العباسي مناظرة لطيفة ظريفة قيّمة مع الفقهاء، نقطتف منها محل الحاجة:

المأمون: يا إسحاق أي الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟

إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أليس السبق إلى الإسلام؟

إسحاق: نعم.

المأمون: إقرأ ذلك في كتاب الله يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟

---

(١) البحار ـ ج ٩.

يومئذ أربعون رجلاً يزيدون أو ينقصون رجلاً، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا له، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به، ولما وضعته تناول رسول اللهﷺ جذمة من اللحم فنتفها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصفحة، ثم قال: خذوا باسم الله. فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشيءٍ من الطعام حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم، ثم جئتم بذلك العسّ فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم يشرب مثله، فلما أراد رسول اللهﷺ أن يكلّمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشدَّ ما سحركم صاحبُكم!!

فتفرق القوم، ولم يكلّمهم رسول اللهﷺ فقال لي في الغد: يا علي إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أُكلمهم، فَعُد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم لي.

قال: ففعلت، ثم جمعتهم، فدعاني بالطعام، فقرَّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، وأكلوا حتى صدروا ما لهم به من حاجة ثم قال: اسقهم. فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول اللهﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم إليه، فأيُّكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي، ووصيي، ووزيري، وخليفتي في أهلي من بعدي؟

قال: فأمسك القوم، وأحجموا (سكتوا) عنها جميعاً، قال: فقمت وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم

المأمون: أفتراه في قياس قولك ـ يا إسحاق ـ أن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون، فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء، ولا يجوز عليهم حكم الرسول ﷺ؟؟

أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله؟؟

إسحاق: أعوذ بالله... الخ.

وليس هذا بأول خطوة كبيرة خطاها عليه السلام إلى مراقي الصعود ولا بأول موقف مشرّف وقف فيه للحق، فقد دعاه الرسول قبل ذلك إلى الاعتراف له بالنبوة والتصديق له بالرسالة، وذلك يوم بعثه الله تعالى في غار حراءٍ وانحدر متحمّلاً أعباء الرسالة وقصد بيت خديجة وفتحت له الباب وقالت: ما هذا النور؟ فأجابها: إنه نور النبوة، إشهدي يا خديجة بأن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فشهدت بذلك فكانت أول امرأة آمنت، ثم دعا علياً عليه السلام ليشهد له بذلك فاعترف له علي فكان أوّل من أسلم من الرجال، ويمتاز إسلام علي عليه السلام عن بقية المسلمين في ذلك العهد فإن الذين أسلموا على يد النبي ﷺ كان جُلّهم غير موحّدين، بل يهوداً ونصارى ومشركين، وسبق الكفر أو الشرك إسلامهم، ولكن علياً عليه السلام لم تتغير فطرته التي فطره الله عليها، ولم يُدنّس ساحته شرك ولا كفر، بل كان موحِّداً وبقي على التوحيد، وازداد إيماناً بالله ويقيناً به على أثر تلك العلوم والمعارف الإلهية التي كان الرسول ﷺ يزقّه إياهاً زقًّا، ولما بعث النبي بالنبوة كان علي أول من صدقه وآمن به وقام بما يتطلب ذلك التصديق والإيمان.

ولا بأس أن نذكر الشيء اليسير من الأحاديث التي تصرح بهذه الفضيلة الفريدة لعلي عليه السلام:

إسحاق: يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.

المأمون: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال.

أبو إسحاق: عليٌ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة.

المأمون: فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله؟؟

أطرق إسحاق!!

المأمون: يا إسحاق لا تقل إلهاماً. فتقدّمه على رسول الله ﷺ لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى.

إسحاق: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

المأمون: يا إسحاق فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟؟

أطرق إسحاق!!

المأمون: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلُّف، فإن الله قال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

إسحاق: أجل، يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله.

المأمون: فهل من صفة الجبار (جل ذكره) أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟

إسحاق: أعوذ بالله.

وله أيضاً:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي
به ربيت وسبطاه هما ولدي
صدَّقته وجميع الناس في بُهَم
من الضلالة والإشراك والنكد

قال جابر: سمعت علياً ينشد بهذا ورسول الله يسمع، فتبسم رسول الله وقال: صدقت يا علي.

وكان هذا الأمر من الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين وقد روي ذلك نظماً ونثراً عن جماعة منهم يتجاوز عددهم خمسين رجلاً، تجد ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث من الغدير لشيخنا الأميني (رحمه الله).

ولشيخنا الأميني كلام لطيف قيّم في هذا الموضوع (وكل كلامه لطيف) قال: وأما نحن فلا نقول: إنه (علياً) أول من أسلم بالمعنى الذي يحاول ابن كثير قوله، لأن البدئة به (الإسلام) تستدعي سبقاً من الكفر، ومتى كفر أمير المؤمنين حتى يسلم؟ ومتى أشرك حتى يؤمن؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفية البيضاء، واحتضنه حِجر الرسالة، وغذّته يد النبوة، وهذّبه الخُلق النبوي العظيم، فلم يزل مقتصاً أثر الرسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن له هوى غير هواه، ولا نزعة في نزعته (إلى أن قال) بل نحن نقول: إن المراد من إسلامه وإيمانه وأوّليته فيهما وسبقه إلى النبي في الإسلام هو المعنى المراد من قوله تعالى ـ عن إبراهيم الخليل عليه السلام ـ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وفيما قال سبحانه عنه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفيما قال

قال رسول الله ﷺ: أوّلكم وروداً على الحوض أوّلكم إسلاماً علي بن أبي طالب. ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ابن أبي الحديد في شرحه.

وأخذ النبي بيد علي فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر.

وقال أيضاً: لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين لأنا كنا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتري، ولقد صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أول من صلى معه.

وقال أيضاً: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: أنا أول من صلى مع رسول الله ﷺ.

وقال أيضاً: أسلمت قبل أن يسلم الناس بسبع سنين.

وقال أيضاً: اللهم إني لا أعرف عبداً من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلي غير نبيك. (قاله ثلاث مرات) ثم قال: لقد صليت قبل أن يصلي الناس.

وقال أيضاً: بُعث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء وقال في أبيات له:

سبقتكم إلى الإسلام طُرًّا
غلاماً ما بلغت أوان حلمي

أبو طالب حامي الرسول

قد ذكرنا في أول كلامنا الليلة أن التربية الصحيحة إنما تتسنى للطفل عن طريق المربي والوالدين والبيت الذي يفتح الطفل فيه عينيه. فقد كان علي عليه السلام يتلقى دروس التوحيد من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من أيام صباه ويتعلّم منه العلوم الإلهية طيلة أيام كونه طفلاً ويافعاً وشاباً وخليفة، وكان يجد كل التشجيع من والده أبي طالب عليه السلام الذي كفل النبي من يوم وفاة عبد المطلب، ولم يبلغ النبي يومذاك من العمر ثمان سنين وأخذه إلى بيته وضمه إلى أهله وولده، وكان هو وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد يبذلان كل ما في وسعهما في خدمة النبي والترفيه عنه حتى أنهما كانا يفضّلانه على أولادهما في المطعم والملبس والخدمة، وقام أبو طالب بما قام من أنواع العطف والحنان والرعاية والاهتمام بشأن النبي والإشادة بمواهبه في السفر والحضر.

ولأبي طالب عليه السلام الحظ الأوفر في القيام بتزويج النبي من السيدة خديجة والقضاء على المشاغبات والمنافسات التي كادت أن تحول دون ذلك الزواج الميمون.

ومواقف أبي طالب في سبيل التحفظ على النبي والدفاع عنه والحماية له من بدء بعثته إلى آخر حياة أبي طالب ـ مشكورة مذكورة في تاريخ المسلمين. وإسلام أبي طالب عليه السلام وإيمانه بالنبي مما لا شك

تعالى عن نبيه الأعظم: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ وفيما قال: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وفي قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال ابن أبي الحديد:

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله، وَعَبَدَه، وكل من في الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق، لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاَّ السابق إلى كل خير: محمد رسول الله ﷺ.

ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه السلام أول الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلاَّ الأقلُّون.

ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق له ذلك، وعلمه واضحاً، وإليه ذهب الواقدي وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب.

لـفـداء الأغـر ذي الـحـسـب الـثـا

قـب والـبـاع والـكـريـم الـنـجـيـب

فأجاب علي بقوله:

أتـأمـرنـي بـالـصـبـر فـي نـصـر أحـمـد

ووالله مـا قـلـت الـذي قـلـت جـازعـا

ولـكـنـنـي أحـبـبـت أن تـر نـصـرتـي

وتـعـلـم أنـي لـم أزل لـك طـائـعـاً

سـأسـعـى لـوجـه الله فـي نـصـر أحـمـد

نـبـي الـهـدى الـمـحـمـود طـفـلاً ويـافـعـاً

وقال القرطبي في تفسيره: روى أهل السير قال: كان النبي قد خرج إلى الكعبة يوماً وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعري فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبيﷺ فانفتل النبي من صلاته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: يا عم! ألا ترى إلى ما فعل بي؟ فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبيﷺ: عبد الله بن الزبعري.

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل لجللته بسيفي. فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بُني مَنِ الفاعل بك هذا؟ فقال: عبد الله بن الزبعري، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم، وأساء لهم القول.

فيه عند كل مسلم منصف، وإسلام بعض تلك البحوث الشاهدة لما نحن فيه الآن:

وهذا قال ابن الأثير: إن أبا طالب رأى النبيﷺ وعلياً يُصلّيان وعلي على يمينه وجعفر رضي الله عنه: صِل جناح ابن عمك وصلّ عن يساره.

وفي رواية: فقام جعفر إلى جنب علي، فأحس النبي، فتقدمهما، فأقبلوا على أمرهم حتى فرغوا، فانصرف أبو طالب مسروراً، وأنشأ يقول:

إن عـلـيـاً وجـعـفـراً ثـقـتـي
عـنـد مـلـم الـزمـان والـنُـوَبِ
لا تـخـذلا وانـصـرا ابـن عـمّـكـمـا
أخـي لأُمـي مـن بـيـنـهـم وأبـي
واللهِ لا أخـذل الـنـبـي ولا
يـخـذلـه مـن بَـنـيَّ ذو حـسـب

وكان أبو طالب إذا رأى رسول اللهﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحب والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحب له، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول اللهﷺ البيات إذا عُرِف مضجعُه، فقال له علي ليلة: يا أبت إني مقتول. فقال له:

إصـبـرن يـا بُـنـي فـالـصـبـر أحـجـى
كـل حـيّ مـصـيـره لـشـعـوب
قـد بـذلـنـاك والـبـلاءُ شـديـد
لـفـداء الـحـبـيـب وابـن الـحـبـيـب

كـذبـتـم وبـيـت الله حـتـى تـفـلـقـوا
جـمـاجـم تـلـقـى بـالـحـطـيـم وزمـزم

وقال يخاطب النبي:

والله لـن يـصـلـوا إلـيـك بـجـمـعـهـم
حـتـى أُوسَّـد فـي الـتـراب دفـيـنـا
فـاصـدع بـأمـرك مـا عـلـيـك غـضـاضـة
وابـشـر بـذاك وقـرّ مـنـك عـيـونـا
ودعـوتـنـي وعـلـمـت أنـك نـاصـحـي
ولـقـد دعـوت وكـنـت ثَـم أمـيـنـا
ولـقـد عـلـمـت بـأن ديـن مـحـمـد
مـن خـيـر أديـان الـبـريـة ديـنـا

وقال يمدح النبي:

لـقـد أكـرم الله الـنـبـي مـحـمـداً
فـأكـرم خـلـق الله فـي الـنـاس أحـمـد
وشـق لـه مـن اسـمـه لـيـجـلـه
فـذو الـعـرش مـحـمـود وهـذا مـحـمـد[1]

وقال أيضاً:

كـذبـتـم وبـيـت الله نـبـزي مـحـمـداً
ولـمـا نـطـاعـن دونـه ونـنـاضـل
ونـسـلـمـه حـتـى نـصـرَّع حـولـه
ونـذهـل عـن أبـنـائـنـا والـحـلائـل

---

(١) وقد ضمَّن حسان بن ثابت هذا البيت في مديح النبي ﷺ.

وهناك أحاديث كثيرة متواترة حول إسلام أبي طالب وإيمانه، بل وكَتَبَ طائفة من العلماء والفضلاء مؤلفات واسعة قيمة حول إيمان أبي طالب أمثال كتاب أسنى المطالب، وأبو طالب مؤمن قريش، وكتاب الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، وفي المجلد السابع من الغدير لشيخنا الأميني ما يروي الغليل.

ولسيدنا أبي طالب عليه السلام قصائد وأبيات في مدح النبي صلى الله عليه وآله والاعتراف برسالته والتصديق بنبوته، وذكر الشيخ الأميني في السابع من الغدير عن بعض المؤرخين: إن الأبيات التي قالها أبو طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله قد بلغت ثلاثة آلاف ونحن نقتطف أبياتاً تصرّح بإيمان أبي طالب وتفانيه في نصرة النبي، فقد كتب أبو طالب أبياتاً إلى النجاشي ملك الحبشة وهي:

ليعلم خيار الناس أن محمداً
وزير كموسى والمسيح ابن مريم
أتانا بهدي مثل ما أتيا به
فكل بأمر الله يهدي ويعصم

وقال أيضاً:

ألا أبلغنا عني على ذات بينها
لُوَيّاً وخُصّا من لوي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خُطّ في أول الكتب

وقال أيضاً:

يرجون أن نسخي بقتل محمد
ولم تختضب سمر العوالي من الدم

أما تكفي هذه الأحاديث وهذه القصائد أن تكون وثيقة لإيمان أبي طالب وإسلامه، وهل الإسلام غير هذا؟

ولو كان جزءٌ من هذه الآثار والمآثر لأبي قحافة والخطاب أو عفان لكانوا أول المسلمين، ولكن أبا طالب بالرغم من تلك المواقف والمواطن التي وقف بها للدفاع عن النبي والمحافظة على حياته في الشعب وقبله وبعده، وهذه الاعترافات منه بنبوة محمد ورسالته، لا تكفي للدلالة على إسلامه فيقولون: مات أبو طالب مشركاً كافراً.

فليكن كل هذا، فإن هذه الغارات التي تشن على كفيل رسول الله وناصره والمحامي عنه إنما هي لأجل ولده علي عليه السلام فإن القوم لم يرضوا أن تكون ساحة نسب علي عليه السلام منزهة عن كفر الجاهلية، ولم تطب نفوسهم أن تكون هذه المفاخر لعلي عليه السلام وسيعلمون غداً يوم يساقون إلى الحساب عما كتبت أيديهم.

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الخِلاّك من آل هاشم
فهم عنده في رحمة وفواضل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا نعبأ بقول الأباطل
فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل

وقال أيضاً:

أُوصي بنصر نبي الخير أربعة
ابني علياً وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته
وجعفراً أن تذودوا دونه الناسا
كونوا فداءً لكم أمّي وما ولدت
في نصر أحمد دون الناس أتراسا

وقال أيضاً:

إن ابن آمنة النبي محمداً
عندي يفوق منازل الأولاد
راعيت فيه قرابة موصولة
وحفظت فيه وصية الأجداد

وغير ذلك من قصائده وأبياته المفصلة المذكورة في ديوانه وسجلتها كتب التراجم والتاريخ.

الليلة الثالثة

علي عليه السلام ليلة المبيت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

حديثنا ـ الليلة ـ حول ما قام به علي عليه السلام من التضيحة والتفادي في سبيل رسول الله والدفاع عنه، ولقد ذكرنا في الليلة الماضية شيئاً يسيراً مما قام به أبوه سيدنا أبو طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله والحماية له.

ومن هذه الليلة نبدأ بشرح ما قام به علي عليه السلام من توطين النفس لكل بلاءٍ ومكروه في سبيل الإسلام، ولقد صدق من قال:

ولولا أبو طالب وابنه
لما مَثُل الدين شخصاً وقاما

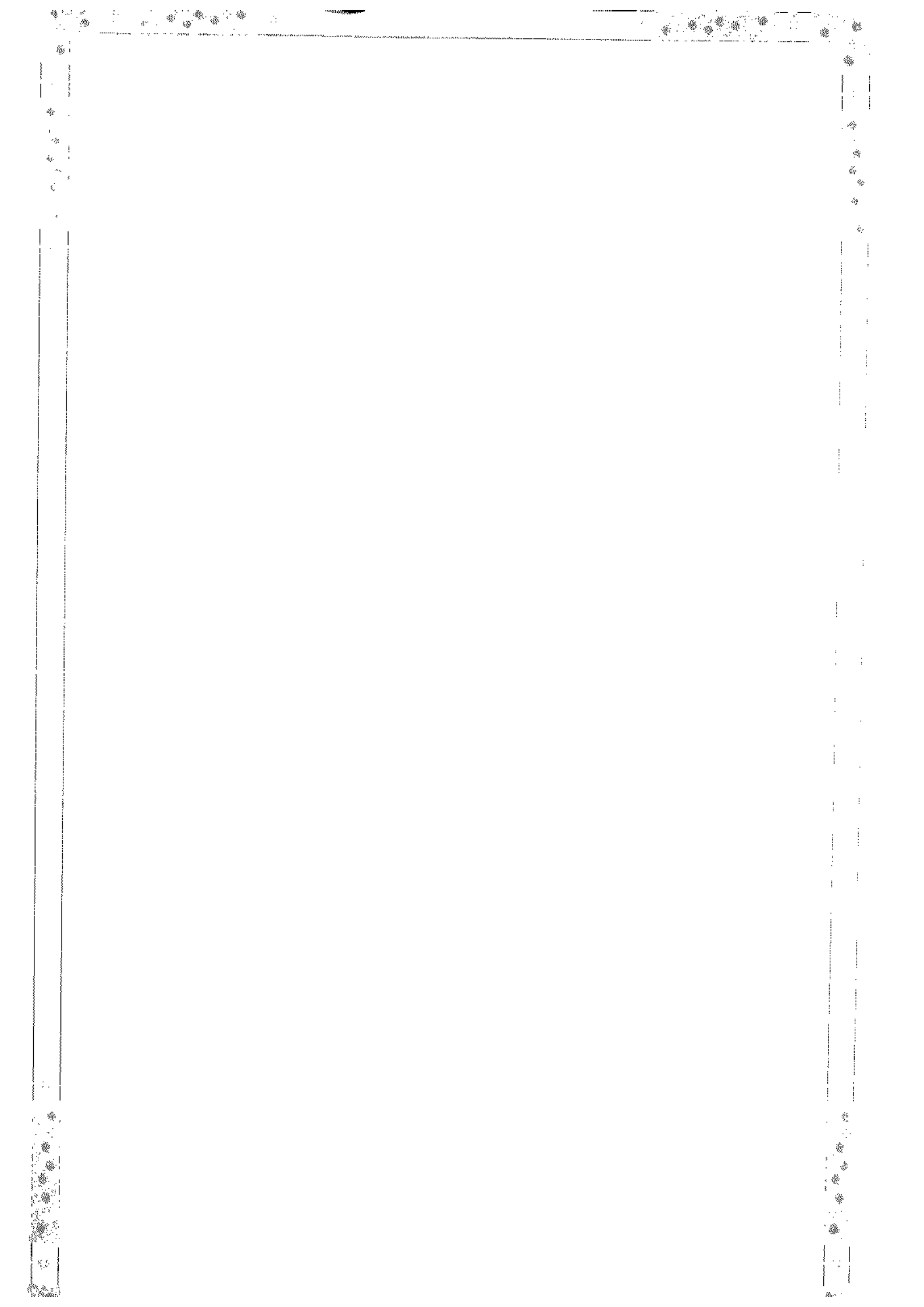

ومن هذا الحديث ندرك الشجاعة التي خامرت نفس علي عليه السلام من صباه: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه سُئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة ـ لما بارزه عليٌّ عليه السلام ـ: يا قضم؟

قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب. وأغرَوا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب. وشكى ذلك إلى علي عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم، الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قَضَمَنا عليٌّ عليه السلام. قضمنا علي. فسمي لذلك: القضم.

ولقد حاول المشركون وكفار مكة خنق الإسلام والقضاء على حياة الرسول صلى الله عليه وآله بشتى الطرق والأساليب، فكانت حركاتهم فاشلة، وجاؤوا إلى أبي طالب وسألوه أن يمنع الرسول عن سب الآلهة!! وإفساد الشبان!! وتسفيه الأحلام! فلم يجدوا التجاوب من أبي طالب عليه السلام.

فجعلوا يحاربون النبي حرب الأعصاب، وجاؤوا عن طريق التهديد والوعيد وإسناد السحر والجنون إليه، وقذفه بالحجارة وتلويث ثيابه بالدم والأقذار. وكتبوا الصحيفة القاطعة وقاطعوا بني هاشم أقسى مقاطعة، كل ذلك لا يزيد النبي إلا ثباتاً واستقامة، وخاصة لما نزلت عليه الآية: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ واستمر الحال على هذا المنوال حتى توفيت السيدة خديجة الكبرى، وبعد مدة يسيرة توفي

فـــذاك بـــمـــكـــة آوى وحـــامـــى
وهـــذا بـــيـــثـــرب جـــسّ الـــحـــمـــامـــا
فـــلـــلـــه ذا فـــاتـــحـــا لـــلـــهـــدى
ولـــلـــه ذا لـــلـــمـــعـــالـــي خـــتـــامـــا

فقد خلق الله تعالى علياً عليه السلام ليكون أحسن وزير وأشرف نصير للرسول وأوفى مدافع وأقوى مجاهد في سبيل الإسلام، ولقد تحقق الهدف الذي خُلق علي عليه السلام من أجله، وقد ذكرنا نهضته المباركة يوم الإنذار وإجابته طلب الرسول وتلبيته لندائه، وكانت تلك النهضة فاتحة قيامه وجهاده، إذ تجلّت فيها شخصية علي عليه السلام وعبقريته، وظهر مدى اعتماده على الله تعالى وعلى نفسه المتشبعة بالإيمان وقلبه المطمئن بذكر الله.

واستمر الأمر من ذلك اليوم فكأنه فترة التدريب أو الامتحان التمهيدي الذي لا بد منه لكل مصلح منقذ أن يجس نبض المجتمع ليكون على بصيرة أكثر فينضج فكره بالتجارب لاتخاذ التدابير اللازمة لمشروعه الذي ينوي القيام به والسير على المخطط الذي جعله برنامجاً لحياته.

ولولا خشية الإفتراء على علي عليه السلام لقلت: إن قلب علي عليه السلام هو أقوى قلب خلقه الله في صدور البشر، وإن أعصاب عليٍّ كانت تستمد القوى من طاقة غير متناهية.

وإلا فكيف يمكن للبشر أن لا يدخل الخوف قلبه، ولا تتوتر من الأهوال أعصابه، ولا يخشى من المستقبل المبهم الغامض ولا تستولي عليه الغرائز: غريزة حب الذات، حب الحياة، الأنانية وغيرها من الطبائع التي كثيراً ما تحول بين الإنسان وبين ما يريد؟

ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا ابن أُم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى إليه وجداً به، وبكى عليٌّ عليه السلام جزعاً على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ لعلي عليه السلام ـ: أرضيت أن أُطلَب فلا أُوجد وتوجد؟ فلعله أن يبادر إليك الجهال فيقتلوك؟ قال: بلى يا رسول الله رضيت أن يكون روحي لروحك وقاء ونفسي لنفسك فداء، بل رضيت أن يكون روحي ونفسي فداء أخ لك أو قريب... وهل أحب الحياة إلا لخدمتك، والتصرف بين أمرك ونهيك، ولمحبة أوليائك ونصرة أصفيائك ومجاهدة أعدائك.

لولا ذلك لما أحببت أن أعيش في هذه الدنيا ساعة واحدة. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: فإذا قضيتَ ما أمرتك من أمر فكن على أهبّة الهجرة إلى الله ورسوله، وسر إليَّ لقدوم كتابي عليك، ولا تلبث بعده.

فانطلق النبي إلى الغار، ونام عليٌّ في مكانه ولبس بُرده، فجاءه القرشيون يريدون أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وآله، فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبي وكان علي عليه السلام يتضور (يتلوى) من الألم ولا يتكلم لئلا يعرفوه، وكان القوم يريدون الهجوم على البيت ليلاً، فيمنعهم أبو لهب ويقول لهم: يا قوم إن في هذه الدار نساء بني هاشم وبناتهم، ولا نأمن أن تقع يد خاطئة إذا وقعت الصيحة عليهن، فيبقى ذلك علينا مسبة وعاراً إلى آخر الدهر في العرب.

فجلسوا على الباب حتى طلع الفجر، فتواثبوا إلى الدار شاهرين

سيدنا أبو طالب، وكانا بمنزلة جناحين لرسول الله، وخيمت الأحزان على قلب الرسول حتى سَمّى تلك السنة (عام الحزن).

وعند ذلك خلا الجو للمشركين، واستضعفوا النبي لفقدان الناصر، وعزموا على اغتيال النبي وقتله، وإليكم التفصيل:

اجتمع المشركون في دار الندوة وتذاكروا حول قتل النبيﷺ وتقرر أخيراً أن يجتمع من كل قبيلة رجل واحد ويهجموا على النبيﷺ، ويقتلوه في بيته، واجتمع أربعون رجلاً من أربعين قبيلة واجتمعوا على باب دار النبيﷺ ونزل جبرئيل على النبيﷺ وأخبره بمكيدة القوم وأمره بالهجرة من مكة إلى المدينة، فأرسل النبي إلى عليٍّ وقال له: يا علي إن الروح هبط علي يخبرني أن قريشاً اجتمعت على المكر بي وقتلي وإنه أوحى إليَّ عن ربي أن أهجر دار قومي وأن أنطلق إلى غار ثور، تحت ليلتي، وأنه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري فما أنت قائل وصانع؟ فقال عليعليه السلام: أو تسلَمن بمبيتي هناك يا نبي الله؟

قال: نعم، فتبسم عليعليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكراً لما أنبأه به رسول اللهﷺ من سلامته، فكان عليعليه السلام أول من سجد لله شكراً، وأول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأُمة بعد رسول اللهﷺ فلما رفع رأسه قال له: إمضي لما أمرت، فداك سمعي وبصري وسويداءُ قلبي، ومرني بما شئت أكون فيه كمسرتك وأقَع منه بحيث مرادك، وإن توفيقي إلا بالله، وقال النبيﷺ: أو أن ألقي عليك شبهة مني، أو قال: شبهي، قال: إن يمنعوني نعم، قال: فارقد على فراشي واشتمل بِبُردي الحضرمي، ثم إني أخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم

الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمدﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخ بخ! مَن مثلك يابن أبي طالب، يباهي الله بك ملائكته؟؟ فأنزل الله عز وجل على رسولهﷺ وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالبعليه السلام ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

قال رسول اللهﷺ: نزل عليَّ جبرئيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبي جبرئيل أراك فَرِحاً، فقال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أُمتك علي بن أبي طالبعليه السلام، فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكتَه، وقال: ملائكتي! أنظروا إلى حُجتي في أرضي بعد نبيي وقد بذل نفسه، وعفر خدَّه في التراب تواضعاً لعظمتي، أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريّتي.

وكان عليعليه السلام يعتز ويفتخر بهذه الموفقية التي نالها من عند الله تعالى فقال شعراً:

وَقَيتُ بنفسي خيرَ من وطأ الحصى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحِجرِ
محمد لما خاف أن يمكروا به
فوقاه ربي ذو الجلال من المكر

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

سيوفهم، وقصدوا نحو مضجع النبي ومعهم خالد بن الوليد، فقال لهم أبو جهل: لا تقعوا به وهو نائم لا يشعر، ولكن إرموه بالأحجار لينتبه بها ثم اقتلوه، أيقظوه ليجد ألم القتل، ويرى السيوف تأخذه!!

فرموه بأحجار ثقال صائبة، فكشف عن رأسه، وقال: ما شأنكم؟ فعرفوه، فإذا هو عليعليه السلام فقال أبو جهل: أما ترون محمداً كيف أبات هذا ونجى بنفسه لتشتغلوا به؟ وينجو محمد، لا تشتغلوا بعلي المخدوع لينجو بهلاكه محمد، وإلا فما منعه أن يبيت في موضعه إن كان ربه يمنع عنه كما يزعم.

ثم قالوا: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

فأرادوا أن يضربوه فمنعهم أبو لهب، وقالوا ـ لعلي ـ: أنت كنت تخدعنا طوال الليل (أي بنومك على فراش النبي خدعتنا وظننا أنك محمد) وبقي النبيصلى الله عليه وآله في الغار ثلاثة أيام وكان علي يأتيه بالطعام والشراب وفي رواية: استأجر ثلاث رواحل للنبي ولأبي بكر ولدليلهم.

وخرج النبي بعد ذلك من الغار وتوجه نحو المدينة.

روى الثعلبي في تفسيره قال: لما أراد النبيصلى الله عليه وآله الهجرة خلَّف علياًعليه السلام لقضاء ديونه، وردِّ الودائع التي كانت عنده وأمر ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، وقال له يا علي: إتَّشح بِبُردي الحضرمي، ثم نم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله، ففعل ما أمره، فأوحى الله عز وجل إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من

فكانت سلامة صاحب الرسالة من قِبَل أهل الضلالة صادرة عن تدبير الله جل جلاله بمبيت مولانا علي عليه السلام في مكانه وآية باهرة لمولانا علي عليه السلام شاهدة بتعظيم شأنه، وأنزل الله جل جلاله في مقدس قرآنه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فأخبر أن لمولانا علي عليه السلام كانت بيعاً لنفسه الشريفة، وطلباً لرضاء الله جل جلاله دون كل مراد، وقد ذكرنا في الطرائف من روى هذا الحديث من المخالف، ومباهاة الله جل جلاله تلك الليلة بجبرئيل وميكائيل في بيع مولانا علي عليه السلام بمهجته، وأنه سمح بما لم يسمح به خواص ملائكته.

ومنها: أن الله جل جلالته زاد مولانا علياً عليه السلام من القوة الإلهية والقدرة الربانية إلى أنه ما قنع له أن يفدي النبي صلى الله عليه وآله بنفسه الشريفة، حتى أمره أن يكون مقيماً بعده في مكة مهاجراً للأعداء قد هربه منهم وستره بالمبيت على الفراش وغطّاه عنهم، وهذا ما لا تحتمله قوة البشر إلا بآيات باهرة من واهب النفع ودافع الضرر.

ومنها: أن الله عز وجل لم يقنع لمولانا علي عليه السلام بهذه الغاية الجليلة حتى زاده من المناقب الجميلة، وجعله أهلاً أن يقيم ثلاثة أيام بمكة لحفظ عيال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يسير بهم ظاهراً على رغم الأعداء وهو وحيد من رجاله، ومن يساعده على ما بلغ من المخاطرة إليه.

ومنها: أن فدية مولانا علي عليه السلام لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله كانت من أسباب التمكين من مهاجرته ومن كل ما جرى من السعادات والعنايات بنبوته، فيكون مولانا علي عليه السلام قد صار من أسباب التمكين من ما جرت حال الرسالة عليه ومشاركاً في كل خير فعله النبي

وبتُّ أُراعيهم متى ينشرونني
وقد وطّنت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً
هناك وفي حفظ الإله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمَّت قلائص
قلائص يفرين الحصى أينما تفرى

إن هذا العمل العظيم الذي قام به الإمام العظيم علي عليه السلام وقع من أهل السماوات موقع الإعجاب والإكبار والتقدير، وهذه المواساة هي الفريدة من نوعها في تاريخ الإسلام بل وفي تاريخ الأنبياء، فلا غرو ولا عجب إذا طأطأ العظماءُ رؤوسهم إجلالاً لعلي عليه السلام ونشروا الثناء الجميل نظماً ونثراً، ولم ينحصر التنويه والإشادة بهذه المكرمة بالمسلمين، بل شاركهم من غير المسلمين كل من تطبع بروح الفضيلة وحمل بين جوانح صدره قلباً وعى جزءاً من الفتوة والشهامة والنجدة وكلٌّ يعمل على شاكلته، وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

أما من المسلمين فالسيد ابن طاووس له كلام لطيف وتحقيق ظريف سنذكره. وأما من غير المسلمين فأحدهم جورج جرداق الكاتب المعاصر وبولس سلامة في ملحمة الغدير، ونكتفي ـ هنا ـ بكلام ابن طاووس وجورج جرداق وبولس سلامة.

قال السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال... ومن أسرار هذه المهاجرة: إن مولانا علياً عليه السلام بات على فراش المخاطرة وجاد بمهجته لمالك الدنيا والآخرة ولرسوله صلى الله عليه وآله فاتح أبواب النعم الباطنة والظاهرة، ولولا ذلك المبيت واعتقاد الأعداء أن النائم على الفراش هو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله لما كانوا صبروا عن طلبه إلى النهار حتى وصل إلى الغار،

يفدي النبي بنفسه راضياً مختاراً على صورة أهون منها على لقاء الموت في ساحة القتال، أو على شفاه قمقم السم! فما أصعب على المرء أن يأخذ مكان رجل حكم عليه المجرمون بالقتل. وأن يرقد في فراشه فلا يخطئه هؤلاء إذا دخلت إرادتهم طور التنفيذ وهم منه على خطوات ينظرون إليه ويسمع إليهم. ثم إنه يترقب بين حين وحين رؤية أنظارهم تتوامض بالغدر تحت عينيه، وسيوفهم تتلامع بالموت فوق رأسه، طوال ليلة كاملة!

لقد كان علي بمغامرته هذه استمراراً لمحمد. وكانت تضحيته من روح المقاومة التي عرف بها ابن عمه العظيم. وكان مبيته في فراش النبي تزكية للدعوة وحافزاً على الجهاد الطويل! ثم إن في هذه المغامرة ما يوجز الحقيقة عن الإمام وطباعه ومزاجه، فإذا هي صادرة عنه كما تصدر الأشياءُ عن معادنها دون تكلف ودون إجهاد، ففيها نموه الذهني المبكر الذي جعله يدرك من الدعوة التي يدق فهمها فهماً صحيحاً على من كان في مثل سنه.

وفيها زهده بالحياة إذا لم تكن عمراً لمكارم الأخلاق وفيها صدقه المر وإخلاصه العجيب. وفيها عدله بين نفسه وبين سواه من أهل الجهاد وما يتوخاه بذلك من نصرة للمظلومين والمستضعفين إذا قتل هو ونجحت الرسالة على يدي صاحب الهجرة، وفيها مواجهته للأمور بسماحة وبساطة لا يعرف معهما إلى الكلفة سبيلاً، وفيها المروءة والوفاءُ والطيبة والشجاعة وسائر صفات الفروسية التي يمثلها علي بن أبي طالب، بل قل هي شيءٌ من استشهاده المقبل...

وقال الأستاذ بولس سلامة في ملحمة الغدير:

(صلوات الله عليه)، وبلغ حاله إليه، وقد اقتصرت في ذكر أسرار المهاجرة الشريفة النبوية على هذه المقامات الدينية، ولو أردت بالله جل جلاله أوردت مجلداً منفرداً في هذه الحال، ولكن هذا كاف شاف للمنصفين وأهل الإقبال.

وقال الكاتب المسيحي جورج جرداق في كتابه: (صوت العدالة الإنسانية):

أما علي بن أبي طالب، فما كان أعجب أمره يوم غامر في سبيل عقيدته التي هي عقيدة محمد بن عبد الله، وفي سبيل الحق ورعاية الشرف والإخاء، هذه المغامرة التي لم يعرف التاريخ أجلّ منها، وأقوى وأدل على وحدة الذات بين عظيم وعظيم.

وإنها لإرادة على التضحية قلّ أن تجد لها مثيلاً إلا في الظروف النادرة التي تقف بها النفس الإنسانية الواعية بين حالين من وجود وفناء في حيّز من إدراك معنى الوجود على مثال خاص.

فإما أن تؤثر لهذا الجسد عيشاً يقربه دون ما يحييه من قيم الحياة الصاعدة، فتنكر هذه القيم وتفضل عليها وجوداً هو أشبه بالفناء من حيث أن الوجود حياة تُحيا! وإما أن تؤثر لهذا الكيان الإنساني انصهاراً بكليات القيم دونما نظر إلى وجود عضوي لا يتصل بروح الوجود الفذ، فتأتي هذه القيم سالكاً إليها طريق التهلكة. وما فناؤك آنذاك إلا دليل على أن الوجود إنما هو لديك حياة تحيا لا عيش يعاش!

أجل، إنها لتضحية قلّ أن تجد لها مثيلاً إلا في اختيار سقراط للموت وفي مسلك غيره من السقارطة، تضحية علي بن أبي طالب

حمّلي أجنح الأثير نسيماً

من جفون الأسحار ريان عاطر

وابسطي حوله الزنابق فرشاً

وانشري فوقه الغمام مقاصر

هــزه الــشــوق لــلــنــبــي فــشــدّ
الــعــزم يــهــفــو إلــى جــمــاع الــمــآثــر
فــي رمــال الــصــحــراء يــســري وحــيــداً
مــقــفــر الــكــف أعــوزتــه الأبــاعــر
صــابــر فــي الــعــذاب والــجــوع حــتــى
عــجــب الــقــفــر مــن تــقــشــف صــابــر

إلى أن يقول:

لا فــراش ســوى الــثــرى، لا غــطــاءُ
لا ضــيــاءٌ ســوى الــنــجــوم الــزواهــر
فــيــنــاهــي الــســهــى يــصــعــد فــي الأجــواء
طــرفــاً يــشــق ســتــر الــديــاجــر
إن هــذا الــصــمــت الــرهــيــب لــقــدس
يــغــســل الــمــرء بــالــعــذاب الــصــاهــر
فــالــخــطــوب الــجــســام والألــم الــمــمــدود
وحــي ومــطــهــر لــلــضــمــائــر
فــإذا كــان طــاهــراً كــعــلــي
شــدّ لــلــه قــلــبــه بــأواصــر
فــالــمــنــاجــاة والــصــلاة عــطــور
تــتــعــالــى إلــى الــســمــاء مــبــاخــر
يــا رمــال الــصــحــراء هــذا عــلــي
فــامــلــئــي الــدرب والــضــفــاف أزاهــر
هــو بــعــد الــنــبــي أشــرف ظــل
لاح فــي الــســبــب الــخــلــي مــهــاجــر

الليلة الرابعة

علي عليه السلام والهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيد أنبياء الله محمد وآله سادات أولياء الله.

ومن كلام لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة مني، فأما السب فسبّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فإني وُلدتُ على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة).

هذه الجملات تجدونها في أكثر كتب الحديث وخصوصاً في كتاب نهج البلاغة في ضمن خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أخبر الإمام الناس باستيلاء معاوية على رقاب المسلمين، وذكر صفة من رذائله وهي كثرة الأكل وعدم الشبع لأن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا

خرج من مكة بهذا القصد، وترك وراءه كل شيءٍ، فيصح أن يقال عنه: إنه أول المهاجرين على الإطلاق، وترك وراءه كل شيءٍ، فيصح أن يقال عنه: إنه أول المهاجرين على الإطلاق، ويمكن أن يكون المقصود الهجرة إلى الدين كما قال تعالى عن لسان لوط: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾، وأما كيفية هجرة علي عليه السلام من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية:

كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وقلة التلوم، وكان الرسول بعث إليه أبا واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله تهيّأ للخروج والهجرة.

قال ابن شهر آشوب: واستخلفه الرسول صلى الله عليه وآله لردّ الودائع، لأنه كان أميناً، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من عدة له قِبَل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي.

وقال ابن شهر آشوب أيضاً: أمره النبي أن يؤدي عنه كل دَين وكل وديعة وأوصى إليه بقضاء ديونه، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا ـ إذا ملأ الليل بطن كل واد ـ إلى ذي طوى، وخرج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمِه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وقد قيل: هي ضباعة، وتبعهم أيمن ابن أُم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبو واقد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي عليه السلام: إرفق بالنسوة أبا واقد! إنهن من الضعائف، قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب ـ أو قال: الطلب ـ فقال علي عليه السلام: أربع عليك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن

عليه بقوله: «لا أشبع الله بطنه».

ولسنا الآن في مقام التحدث عن معاوية ونفسياته وإنما نقتطف من هذه الجملات جملة واحدة، ونجعلها محور حديثنا الليلة، وهي قوله عليه السلام: «سبقت إلى الإيمان والهجرة» أما السبق إلى الإسلام والإيمان فقد مضى الكلام عنه، وأما السبق إلى الهجرة، فليس المقصود من الهجرة الانتقال من بلد إلى رخر، ولا يعدّ هذا فضيلة، فما أكثر المهاجرين! ولعل المقصود من الهجرة هو ترك الوطن وكل ما فيه لله وفي الله، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وهذه الآية في شأن المجاهدين الذين يُقتلون في سبيل الله والحجاج الذين يموتون في طريق الحج.

والله تعالى يفضّل المهاجرين على غيرهم لأنهم تركوا كل ما كانوا يملكون من المال والأهل والولد لأجل المحافظة على دينهم والتخلص من المشركين الذين كانوا يحاربون المسلمين أشد محاربة.

وعلي عليه السلام سبق المسلمين إلى الهجرة، وقد اتفق المؤرخون وأجمعوا على أن علياً هو أول من التحق بالرسول وهو في المدينة وذلك بعد أن رد الودائع والأمانات إلى أهلها وعزم على الخروج من مكة إلى المدينة، وقد ذكر المؤرخون: أن أبا بكر هاجر مع النبي من الغار إلى المدينة فيمكن لنا أن نقول: أن خطاب علي عليه السلام كان موجهاً إلى الناس المخاطبين في ذلك اليوم وليس فيهم أبو بكر، وعلي سبق المسلمين إلى الهجرة، ويمكن أن نناقش في خروج أبي بكر مع النبي بأنه لم يقصد الهجرة أي ترك مكة وما فيها وإنما خرج مداراة ومجاراة وصحبة مع النبي وسايره حتى وصل إلى قباء خارج المدينة. وعلي

المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أُم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، فلبثوا هناك هو والفواطم: أُمه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها)، وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الزبير يُصلّون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى علي عليه السلام بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهم يصعنون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عز وجل ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾.

ولما نزل الرسول ﷺ بقباء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم علي عليه السلام، فقال له أبو بكر: إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا تُقم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله ﷺ، كلا، ما أسرعه. ولست أُريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إليّ فقد وقاني بنفسه من المشركين فبقي النبي ﷺ خمسة عشر يوماً فوافى علي بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة لما بقدميه من الورم. وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً.

إليك بأمر تكرهه، ثم جعل - يعني علياً عليه السلام - يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلا الله فارفع ظنكا
يكفيك رب الناس ما أهمكا

وسار، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم مولى الحارث بن أُمية يدعى جناحا، فأقبل علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل واعقلاها. وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم علي عليه السلام منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، إرجع لا أبا لك، قال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثوّروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضيا فيه حتى مس كاثبة فرسه، فكان علي عليه السلام يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد
آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، فقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب، قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله بيثرب، فمن سره أن أفري لحمه وأهرق دمه فليتبعني، أو فليَدنُ مني، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوَّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من

الليلة الخامسة

اقتران النورين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسول الله وعلى آله آل الله.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

النكاح من سنن الله تعالى في عباده، والمقصود منه التناسل والتكاثر تحت ظل القانون الإلهي، وليس الهدف منه إشباع الغريزة الجنسية فقط بل هو في ضمنه، وإنما هو كالحصن يحفظ الإنسان من فساد الخلاعة وويلات الفجور.

والهدف الأسمى من النكاح هو: تأسيس بيت عائلي لتكوين جيل يربط الوالدين بتقبل المسؤوليات التي يتطلبها الجيل من بدو إيجاده إلى أن يقطع أدوار الحياة، وأطوارها من جنين ووليد ورضيع وفطيم وصبي وغلام ومراهق وشاب ويافع، أو بنت وشابة وفتاة وامرأة.

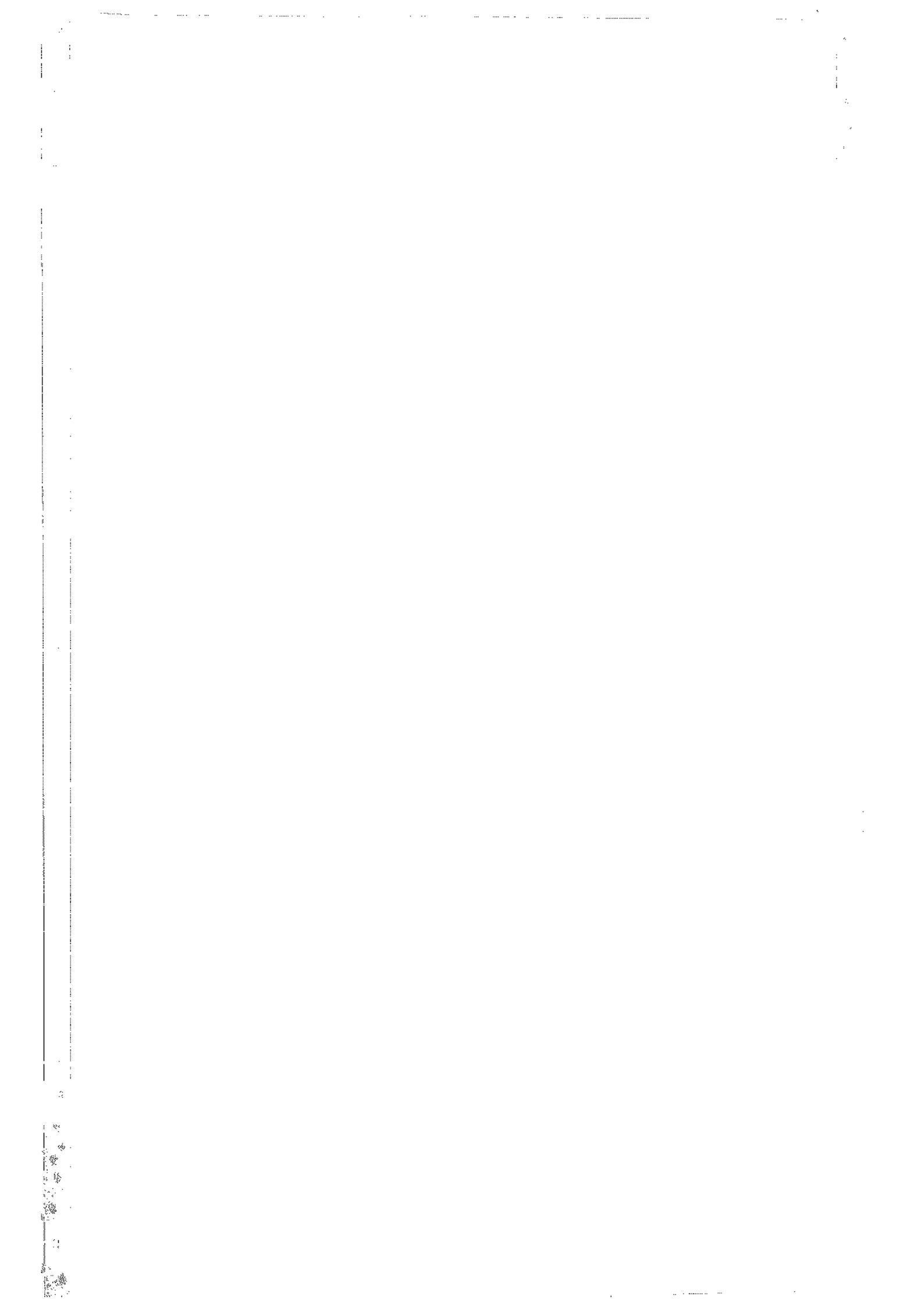

بالحياة البيتية والعائلية أية رابطة أو مسؤولية، ولعل الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى هذا الموضوع حيث قال عليه السلام: من تزوّج فقد أحرز نصف دينه فليتقِ الله في النصف الآخر.

هذا والبحث طويل والكلام يحتاج إلى تفصيل، وقد ذكرنا هذه المقدمة لحديثنا العذب في هذه الليلة.

العراقيل والمشاكل التي سدَّت على شبابنا طرق الزواج وجعلتهم يهابون النكاح ولا يهابون السفاح، ويفضلون الكبت والضغط (على غرائزهم) أو يرجحون الفساد والمجون على انتخاب زوجة تشاركهم حلو الحياة ومرها وأفراحها وأتراحها. هذه العراقيل كانت موجودة في الجاهلية ولكن بصورة أُخرى. كغلاء المهر والعصبيات القبلية وما شاكلها، فتكونت عندهم الأزمات بجميع أقسامها، واشتدت الحالة حتى أدت إلى دفن البنات وهن في قيد الحياة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

فكان من جملة الخطوات الإصلاحية التي قام بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وهو القضاءُ على هذه العادات الجهنمية والتقاليد الجاهلية، وإلى هذه الناحية أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ * وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ * وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

ولم يكتف الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله بمكافحة هذه السيئات عن طريق

فالنسل بحاجة ماسة ـ في أدواره ـ إلى الكفيل والمربي والمنفق والمؤدب والولي، إلى جانب حاجته إلى الرضاعة والحضانة والتربية والعناية والخدمة وتأمين لوازم الحياة من المأكل والملبس والمسكن والتعليم وما شابه ذلك.

ولا يندفع أحد إلى تحمل هذه المسؤوليات كما يندفع الوالدان، ولا أظن أني أحتاج في هذا البحث إلى إقامة الدليل والبرهان.

فهل تكون المرضعة كالأُم، وهل الموظفات في دور الحضانة والروضات يسهرون الليالي للطفل المريض كما تسهر الأُم الحنون؟؟

وقد قيل: ليست الثكلى كالمستأْجَرة، فهناك فرق كبَير وبون شاسع بين من يندفع للعناية والرعاية بالأطفال بدافع الأُبوة والعاطفة والمحبة التي لا يكدّرها شيءٌ، وبين من يتحمل مسؤوليةً بدافع الراتب والوظيفة.

وإدراك أهمية هذا الموقف كثيراً ما يحول بين الوالدين وبين إجابة رغبات الأولاد وتحقيق هواياتهم التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فالارتباط بالعائلة يدفع الإنسان إلى التفكير حول تأْمين حياته والخوض في معركة العمل المثمر والإنتاج المفيد، وفي الوقت نفسه يردعه عن كل مجازفة تهدد كيانه وحريته وتعرقل عليه المساعي كالإقدام على جريمة القتل أو ارتكاب الجنايات التي تؤدي إلى شقاء الوالدين.

وإن هذه الأحزاب والمبادىء ـ التي استولت على الشباب واستنزفت منهم كل نشاط وطاقة ـ لم تنجح إلا بعد أن تقهقرت سُنَّة الزواج بين المسلمين، وكثر عدد العزاب والبطالين الذين لا تربطهم

الباب، فقالت أُم سلمة: مَن بالباب؟ فقال لها الرسول ـ من قبل أن يقول علي: أنا ـ: قومي يا أُم سلمة فافتحي له الباب، ومُريه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبهما.

فقالت أُم سلمة: فداك أبي وأُمي، ومن هذا الذي تذكر فيه هذا وأنت لم تره؟ فقال: مَه يا أُم سلمة، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق[1]، هذا أخي وابن عمي وأحب الخلق إلي.

فقامت أُم سلمة وفتحت الباب وإذا هو علي بن أبي طالب، قالت أُم سلمة: والله ما دخل حين فتحت الباب حتى علم أني رجعت إلى خِدري، ثم دخل على رسول اللهﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال النبي: وعليك السلام اجلس.

فجلس علي، وجعل ينظر إلى الأرض، كأنه قصد لحاجة وهو يستحي أن يبديها، فهو مطرق إلى الأرض حياءً من رسول اللهﷺ فقال النبي: إني أرى أنك أتيت لحاجة، فقل ما حاجتك؟ وأبدِ ما في نفسك فكل حاجة لك مقضية.

فقال عليعليه السلام: فداك أبي وأُمي، وإنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذائك وأدبتني بأدبك، فكنت إلي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وإن الله تعالى هداني بك وعلى يديك وأنت (والله) يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة.

يا رسول الله: فقد أحببت ـ مع ما شد الله من عضدي بك ـ أن

---

(١) الخرق: سيّىء التصرف والجاهل. والنزق: الخفيف في كل أمر، العجول في الجهل والحمق.

اللسان، فالكلام ـ وحده ـ لا يجدي، وإنما قام الرسول بفك هذه الأغلال عن طريق العمل. فمن جملة ذلك: أنه زوّج ابنته الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام بأبسط ما يمكن، وتجسَّم التساهل في ذلك الزواج المبارك بخفة المؤونة وانتهاء الأمر بكل بساطة بعيداً عن التكاليف المجهدة المتعبة التي يفرّ من شبحها الشباب المغلول بسلاسل التقاليد ويفضِّل العزوبة على الزواج المقرون بالمشاكل، وإليكم الواقعة:

لما أدركت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مدرك النساء خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام، والشرف والمال، وكان كلما ذكرها رجل من قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله أعرض عنه رسول الله بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن ـ في نفسه ـ أن رسول الله ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله فيه وحيٌ من السماء.

ولقد خطبها من رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر، فقال له رسول الله: أمرُها إلى ربها، وخطبها بعد أبي بكر عمرُ بن الخطاب، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كمقالته لأبي بكر.

فجاء أبو بكر وسعد بن معاذ إلى علي عليه السلام وهو خارج المدينة يسقي نخلاً له، وسألاه عما يمنعه من خطبة فاطمة عليها السلام فقال لهما علي: ما يمنعني إلا الحياء وقلة ذات اليد (المال) فقال له سعد: إذهب إلى رسول الله واخطب منه فاطمة، فإنه يزوجك، والله ما أرى رسول الله يحبسها إلا عليك. فقال علي: فأقول ماذا؟ فقال سعد: تقول: جئت خاطباً إلى الله ورسوله فاطمة بنت محمد.

فأقبل علي عليه السلام يقصد دار النبي، وهبط جبرئيل على الرسول وأخبره بمجيء علي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في دار أُم سلمة، فدق عليٌّ

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر المسلمين إن جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربي عز وجل أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهم جميعاً أنه زوّج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي بن أبي طالب، وأمرني أن أُزوّجه في الأرض وأشهدكم على ذلك، ثم جلس وقال لعلي: قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك: فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيﷺ وقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلا الله شهادة تبلغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح مما أمر الله عز وجل به ورضيه، ومجلسنا هذا مما قضاه الله وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا. فقال المسلمون لرسول اللهﷺ: زوَّجته يا رسول الله؟ فقال: نعم. فقالوا بارك الله لهما شملهما. وانصرف رسول الله إلى أزواجه وأقبل فقال: يا علي انطلق الآن فبع درعك وأتني بثمنه حتى أهيىء لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما قال علي: فانطلقت فبعته بأربعمائة درهم سود هجرية وقيل بأربعمائة وثمانين أو خمسمائة من عثمان بن عفان فلما قبضت الدراهم أقبلت إلى رسول الله وطرحت الدراهم بين يديه، فدعا رسول اللهﷺ بأبي بكر فدفعها إليه وقال: اشتر بهذه الدراهم لابنتي ما يصلح لها في بيتها، وبعث معه سلمان وبلالاً ليعيناه على حمل ما يشتريه، قال أبو بكر: أحصيت الدراهم التي أعطانيها ثلاثة وستين درماً فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من أدم، ووسادة من أدم حشوها من ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة للماء، وكيزاناً، وجراراً، ومطهرة للماء، وستر صوف، رقيقاً وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول اللهﷺ فلما نظر إليه بكى، وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى

يكون لي بيت وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة! فهل أنت مُزوّجي يا رسول الله؟

فتهلل وجه رسول الله فرحاً وسروراً، ثم تبسم في وجه علي وقال: فهل معك شيءٌ أُزوجك به؟ فقال علي: فداك أَبي وأُمي، والله ما يخفى عليك من أمري شيءٌ، أملك سيفي ودرعي وناضحي (البعير الذي يحمل عليه الماء) ومالي شيءٌ غير هذا. فقال رسول اللهﷺ: يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله. وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك ولكني قد زوجتك بالدرع، ورضيت بها منك.

يا علي أُبشرك؟. فقال: نعم فداك أبي وأُمي، بشّرني فإنك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلى الله عليك. فقالﷺ: أبشر فإن الله قد زوّجكها في السماء من قبل أن أزوجك في الأرض.. إلى آخر كلامه.

ثم قال: يا علي إنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ولكن على رِسلك حتى أخرج إليك. فدخل عليها فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء فوضأته بيدها وغسلت رجليه ثم قعدت فقال لها: يا فاطمة فقالت: لبيك ما حاجتك يا رسول الله؟ قال: إن علي بن أبي طالب من قد عرفتِ قرابته وفضله وإسلامه وإني قد سألت ربي أن يزوّجك خير خلقه وأحبَّهم إليه وقد ذكر عن أمرك شيئاً فما ترين؟ فسكتت ولم تُولّ وجهها ولم ير فيها رسول اللهﷺ كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها، فمضى عليٌ إلى المسجد، وجاء رسول الله في أثره، وفي المسجد المهاجرون والأنصار، فصعد رسول اللهﷺ على درجة من المنبر،

في الدنيا وابن عمك في النسب علي بن أبي طالب عليه السلام يحب أن تُدخل عليه زوجته فاطمة تجمع بها شمله. فقال: يا أُم سلمة فما بال عليٍّ لا يسألني ذلك؟ فقلت: الحياء منك يا رسول الله. قالت أُم أيمن: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: إنطلقي إلى علي فآتيني به، فخرجت من عندْ رسول الله، فإذا علي ينتظرني، ليسألني عن جواب رسول الله صلى الله عليه وآله، وحضر علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هيىء منزلاً حتى تحوّل فاطمة إليه، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله ما هاهنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان وكان لفاطمة عليها السلام يوم بنى بها أمير المؤمنين عليه السلام تسع سنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والله لقد استحينا من حارثة بن النعمان قد أخذنا عامة منازله. فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شيء أحب إلي مما تأُخذه والذي تأُخذه أحبّ إلي مما تتركه، فجزاه رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً، فحولت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل حارثة، وبسطوا في بيت علي كثيباً (الرمل)، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وستروه بكساءٍ ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب وبسط جلد كبش ومخدة ليف.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، فجاء أصحابه بالهدايا، فأمر النبي فطحن البر (الحنطة) وخبز، وذبح الكبش واشترى عليٌ تمراً وسمناً، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وحسر عن ذراعيه، وجعل يشدخ التمر في السمن فقال النبي: يا علي أدعُ من أحببت.

قال علي: فأتيت المسجد وهو غاص بالناس، فناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد، فأجابوا من النخلات والزروع، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، وساير نساء المدينة،

السماء وقال: اللهم بارك لقومٍ جُلّ آنيتهم الخزف! قال علي: ودفع رسول الله باقي ثمن الدرع إلى أُم سلمة فقال: أُتركي هذه الدراهم عندك. ومكثتُ بعد ذلك شهراً لا أعاود رسول اللهﷺ في أمر فاطمة بشيءٍ استحياءً من رسول الله غير أني كنت إذا خلوت برسول الله يقول لي: يا أبا الحسن ما زوجتك وما أجملها وابشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين. قال علي: فلما كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل بن أبي طالب فقال: يا أخي ما فرحت بشيءٍ كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمدﷺ، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول اللهﷺ يدخلها عليك فتقر عيناً باجتماع شملكما؟ قال علي: والله يا أخي إني لأحب ذلك وما يمنعني من مسألته إلا الحياء منه، فقال: أقسمت عليك ألا قمت معي. فقمنا نريد رسول اللهﷺ فلقيتنا في طريقنا أُم أيمن مولاة رسول اللهﷺ فذكرنا ذلك لها فقالت لا تفعل ودعنا نحن نكلمه، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال. ثم انثنت راجعة فدخلت على أُم سلمة فأعلمتها بذلك وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله وكان في بيت عائشة فأحدقن به وقلن: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة في الأحياء لقرت بذلك عينها. قالت أُم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول اللهﷺ ثم قال: خديجة! وأين مثل خديجة؟ صدّقتني حين كذّبني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها!! إن الله عز وجل أمرني أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد، لا صخب فيه ولا نصب. قالت أُم سلمة فقلنا: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا يا رسول الله إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك، غير أنها قد مضت إلى ربها فهنّأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك

واذكـرنّ رب الـنـاس إذ يـخـصـنـا

بـديـنـه مـع كـل عـبـد شـاكـر

والـحـمـد لله عـلـى أفـضـالـه

والـشـكـر لله الـعـزيـز الـقـادر

سِـرنَ بـهـا فـالله أعـطـى ذكـرهـا

وخـصـهـا مـنـه بـطـهـر طـاهـر

وقالت حفصة:

فـاطـمـة خـيـر نـسـاء الـبـشـر

ومـن لـهـا وجـه كـوجـه الـقـمـر

فـضَّـلـك الله عـلـى كـل الـورى

بـفـضـل مـن خـص بـآي الـزمـر

زوجـك الله فـتـى فـاضـلاً

أعـنـي عـلـيـاً خـيـر مـن في الـحـضـر

فـسـرن جـاراتـي بـهـا فـإنـهـا

كـريـمـة بـنـت عـظـيـم الـخـطـر

وقالت معاذة أم سعد بن معاذ:

أقـول قـولا فـيـه مـا فـيـه

واذكـر الـخـيـر وأُبـديـهِ

مـحـمـد خـيـر بـنـي آدم

مـا فـيـه مـن كِـبـرٍ ولا تـيـهِ

بـفـضـلـه عـرفـنـا رشـدنـا

فـالله بـالـخـيـر يـجـازيـهِ

ونـحـن مـع بـنـي نـبـي الـهـدى

ذي شـرف قـد مـكـنـت فـيـهِ

ورفعوا منها ما أرادوا، ولم ينقص من الطعام شيء، ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف (الأواني) فملئت، ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة، وقال: هذه لفاطمة وبعلها.

(عن ابن بابويه): أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة (سلام الله عليها) وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته ـ وفي رواية على بغلته الشهباء وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساءُ النبي ﷺ قدامها يرجزن، فأنشأت أم سلمة تقول:

سِرنَ بعون الله جاراتي
واشكُرنَه في كل حالات
واذكرنَ ما أنعم رب العلى
من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفرٍ وقد
أنعشنا رب السماوات
وسِرنَ مع خير نساء الورى
تُفدى بِعَمّات وخالات
يا بنت مَن فضَّله ذو العلى
بالوحي منه والرسالات

وقالت عائشة:

يا نسوة استترن بالمعاجر
واذكرنَ ما يحسن في المحاضر

علي إشربه، واترك فيه قليلاً، ففعل علي ذلك. فرشّ النبيﷺ باقي الماء على رأسه وصدره، ثم قال: أذهب الله عنك الرجس يا علي وطهرك تطهيراً. وأمره بالخروج من البيت، وخلا بابنته فاطمة وقال: كيف أنت يا بنية؟ وكيف رأيت زوجك؟ قالت: يا أبه خير زوج إلا أنه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي: زوَّجك رسول الله من فقير لا مال له. فقال رسول اللهﷺ يا بُنيّة ما أبوك بفقير، ولا بعلك بفقير. ولقد عُرضت عُليَّ خزائن الأرض من الذهب والفضة فاخترت ما عند ربي عز وجل، يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا في عينيك، والله يا بنية ما ألوتك نصحاً، إني زوجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً، يا بنية إن الله عز وجل إطّلع إلى الأرض إطلاعه فاختار من أهلها رجلين فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك. يا بنية نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً[1].

(١) اقتطفنا أحاديث هذا البحث من المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا المجلسي (ره).

فـــي ذروة شـــامـــخـــة أصـــلـــهـــا
فـــمـــا أرى شـــيـــئـــاً يـــدانـــيـــهِ

وكانت النسوة يُرجّعن أول بيت من كل رجز ثم يكبّرن ودخلن الدار ثم أنفذ رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام ثم دعا فاطمة (سلام الله عليها) فأخذ يدها ووضعها في يده وقال: بارك الله في ابنة رسول الله. يا علي: نعم الزوجة فاطمة ويا فاطمة نعم الزوج علي، ثم قال: يا علي هذه فاطمة وديعتي عندك، ثم قال النبي ﷺ: اللهم اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك، اللهم إنهما أحب خلقك إلي، فأحبّهما واجعل عليهما منك حافظاً وإني أُعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم.

ثم خرج إلى الباب وهو يقول: طهّركما وطهّر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، أستودعكما الله، وأستخلفه عليكما.

وباتت أسماء عندهما في البيت، وأصبح الصباح، وجاء رسول الله ﷺ إلى زيارة العروسين، قال: السلام عليكما، أأدخل؟ ففتحت أسماء الباب فدخل النبي، فسأل علياً عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت: خير بعل، وجاء النبي بعس (قدح) فيه لبن فقال لفاطمة: إشربي فداك أبوك، وقال لعلي: إشرب فداك ابن عمك.

ثم قال ﷺ: يا علي آتيني بكوز من ماءٍ، فجاء علي بكوز من ماءٍ فتفل فيه ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ثم قال: يا

الليلة السادسة

علي عليه السلام والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وصلى الله على سيد العرب والعجم محمد وآله أهل الجود والكرم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ الآية.

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحافظ على الأمن والسلام، وهو الذي يحافظ على النفوس والأموال والحقوق أكثر من أي دين آخر، وأبغض شيء عند الإسلام هو إراقة دماء البشر وسلبهم نعمة الحياة بغير حق، ولكن الشرع والعقل والقانون يسمح بإراقة دم كل من يقف حجر عثرة في سبيل إسعاد أبناء البشر.

مثلاً: بلدة ليس فيها طبيب ولا دواء. وقد انتشرت فيهم الأمراض وأخذت منهم كل مأخذ، فجاء طبيب يداوي المرضى ويهب لهم الدواء مجاناً وبلا عوض، ويصلح كل ما فسد منهم ويعيد إليهم

من مكة، وفيهم الشيوخ والكهول والشبان والمراهقون، وقد امتلأُوا حباً للإسلام وتسلَّحوا بسلاح الإيمان الذي هو أقوى سلاح.

ولكن غريزة حب الحياة ما فارقتهم في بدء الأمر، فمن الصعب المستصعب عليهم أن يخوضوا غمار الموت، ويستقبلوا السيوف والرماح خاصة وهم الأقلون عدداً وعدة، وعدوهم هو الأكثر عدداً وعدة.

وقعت الحرب الأُولى للمسلمين في منطقة بين المدينة ومكة يقال لها: (بدر) فقد خرج الرسول بجيشه إلى ذلك الموضع واستقبل المشركين الذين قصدوه من مكة، وفي بدر التقى العسكران وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وعدد المشركين بين التسعمائة والألف. وقد اجتمع مشركو مكة وكفارها، وفيهم أقطاب الشرك كأبي جهل وأبي سفيان، وهم يزعمون أن الغلبة لهم والنصر والظفر من نصيبهم، ولكن الله أراد شيئاً آخر، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.

وكان علي عليه السلام له الحظ الأوفر والنصيب الأكثر من الشجاعة ومقاتلة الأبطال ومنازلة الشجعان، ولا أقصد من كلمتي هذه أن علياً كان سفاكاً للدماء، بل المقصود: أن إيمان علي عليه السلام بالله كان فوق كل غريزة وكل اتجاه، مع العلم أنه كان يومذاك في ريعان الشباب، والشابَ أكثر تعلقاً بالحياة من الشيخ الذي قضى وطره من حياة الدنيا، مع ذلك لم يكن علي عليه السلام يعرف للخوف معنى، ولا للجبن مفهوماً في نفسه، بل كان يستقبل الموت برحابة صدر ويهرول في الحرب جانب العدو كأنه يقصد شيئاً يحبه حتى أجمع المسلمون وغير المسلمين أن علياً أشجع العرب والعجم، ولم يشهد التاريخ له مثيلاً ونظيراً فضلاً من أن يرى أشجع منه.

ما فقدوه من الصحة والعافية والسلامة ليعيشوا سعداء أصحّاء.

وإذا بجماعة يحولون بين الطبيب وبين تداوي الناس ويحاربونه بكل ما لديهم من قوة ليحطوا من نشاط الطبيب، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وكلما صاح فيهم الطبيب وصرخ وذكر لهم الهدف الذي يبتغيه لأجلهم وهو الخير ازدادوا عناداً، وجعلوا يهددون المرضى ـ الذين قد تحسنت صحتهم ولمسوا العافية من نصائح الطبيب ـ بالوعيد، وكأن هؤلاء لا يعجبهم أن يروا السلامة والصحة تخيمان على رؤوس المرضى.

أليس العقل يحكم على هؤلاء المهرجين بالإعدام؟

أليس هؤلاء أضر على البشر من الحيوانات المفترسة؟

أليس هؤلاء أشد خطراً من الأمراض الفتاكة التي تهدد البشر بالفناء؟ فالمرضى هو المجتمع الجاهلي الفاسد، والطبيب هو الرسول، والمهرجون هم المناوئون للرسول، على هذا أمر الإسلام بجهاد المشركين والكفار الذين حاربوا رسول الله ﷺ يوم كان في مكة وهجموا عليه ليقتلوه وكفاه الله شرهم، واضطر النبي أن يترك مسقط رأسه ويهاجر من وطنه كي يستطيع الاستمرار في الدعوة إلى مبدئه وإذا بالأعداء يطاردونه، وتتحزب الأحزاب ضده، ويستعين بعضهم ببعض للقضاء على الرسول ومبدئه وعلى كل من اعتنق ذلك الدين الذي اعتبروه ديناً جديداً.

ولا بد للرسول الأعظم أن يقف أمام هؤلاء للدفاع عن نفسه ومبدئه فهو بحاجة ماسة إلى الأنصار والأعوان ليقاوم بهم أعداءه الألداء، وهم ـ الأنصار ـ أصحابه الذين أسلموا على يديه وهاجروا

علي عليه السلام يوم بدر

في البحار: ج 6 قال الإمام الباقر عليه السلام: انتدب رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة بدر إلى الماء، فانتدب علي عليه السلام، فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة فخرج بقربته، فلما كان إلى القليب (البئر) لم يجد دلواً، فنزل في الجب تلك الساعة، فملأ قربته، ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتى مضت. ثم قام، ثم مرّت به ريح أُخرى فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرّت به أُخرى فجلس حتى مضت، فلما جاء إلى النبي قال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبسك يا علي؟ قال: لقيت ريحاً ثم ريحاً ثم ريحاً شديدة فأصابتني قشعريرة.

فقال: أتدري ما كان ذلك يا علي؟ فقال: لا. فقال: ذاك جبرئيل مرّ في ألف من الملائكة وقد سلّم عليك وسلّموا، ثم مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا، ثم مرّ إسرافيل وألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا.

وفي هذه الليلة اختص أمير المؤمنين عليه السلام بثلاثة آلاف فضيلة وثلاثة فضائل، لتسليم ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة عليه، وفيها يقول الحميري:

أقسم بالله وآلائه
والمرءُ عما قال مسؤول

وهذه نبذة من غزوات الرسولﷺ التي حضرها الإمام. وكان نصيبه من الجهد والعناء أكثر من غيره، ولم يسلم علي من سهام العدو وسيوفهم، بل كانت الجراحات تأخذ من مقاديم بدنه كل مأخذ، ولولا حفظ الله وعنايته لكان علي من المقتولين في تلك الحروب.

قال ابن أبي الحديد:

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم ـ عند صديقه وعدوه ـ أنّه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلاّ له؟ وقد عرفت أنه أعظم غزوة غزاها رسول اللهﷺ وأشدها نكاية في المشركين: بدر الكبرى التي قُتل فيها سبعون من المشركين، قتل علي نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتلَه في غيرها كأُحُد والخندق وغيرهما...

فلنبدأْ بذكر الغزوات حسب التاريخ مع رعاية الإجمال والاختصار ونذكر مواقف عليعليه السلام فيها:

بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة: عليك بشيبة. وقال لعلي عليه السلام: عليك بالوليد، فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا: أكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطنها (قطعها) فسقطا جميعاً وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه، قال علي عليه السلام لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا علي أما ترى الكلب (بهر خ ل) نهز عمك؟ فحمل عليه علي عليه السلام فقال: يا عم طأطيء رأسك، وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضرب علي عليه السلام شيبة فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

وفي رواية أُخرى: أنه برز حمزة لعتبة، وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبة، وقتل عبيدة شيبة، وقتل علي الوليد، وضرب شيبة رِجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي، وحمل حمزة وعلي عبيدة حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر فقال: يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال: بل أنت أول شهيد من أهل بيتي.

فقال: أما لو كان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه، قال: وأي أعمامي تعني؟ فقال: أبو طالب حيث يقول:

كذبتم وبيت الله يبزى محمد
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إن عـــلـــي بـــن أبـــي طـــالـــب
عـــلـــى الـــتـــقـــى والـــبِـــرّ مـــجـــبـــول

كـــان إذا الـــحـــرب مَـــرَتـــهـــا الـــقـــنـــا
وأحـــجـــمـــت عـــنـــهـــا الـــبـــهـــالـــيـــل

يـــمـــشـــي إلـــى الـــقـــرن وفـــي كـــفـــه
أبـــيـــض مـــاضـــي الـــحـــد مـــصـــقـــول

مـــشـــيَ الـــعـــنـــزنـــا بـــيـــن أشـــبـــالـــه
أبـــرزه لـــلـــقـــنـــص الـــغـــيـــل

ذاك الـــذي ســـلّـــم فـــي لـــيـــلـــة
عـــلـــيـــه مـــيـــكـــال وجـــبـــريـــل

مـــيـــكـــال فـــي ألـــف وجـــبـــريـــل فـــي
ألـــف ويـــتـــلـــوهـــم ســـرافـــيـــل

لـــيـــلـــة بـــدر مـــدداً أنـــزلـــوا
كـــأنـــهـــم طـــيـــر أبـــابـــيـــل

ولما أصبح الصباح استعد الفريقان للحرب، وتقدم عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش، فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال: قم يا عبيدة، فقام بين يديه بالسيف ونظر إلى حمزة فقال: قم يا عم، ثم نظر إلى علي فقال: يا علي (وكان أصغر القوم) فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفىء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره فقاموا بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال: يا عبيدة عليك

ففي ذلك تقول هند بنت عتبة:

أبـــي وعـــمـــي وشـــقـــيـــق بـــكـــري
أخـــي الـــذي كـــانـــوا كـــضـــوء الـــبـــدر
بـــســـهـــم كـــســـرت يـــا عـــلـــي ظـــهـــري

علي عليه السلام يوم أحد

أُحُد: اسم منطقة بالقرب من المدينة في سفح الجبل، وفيها وقعت واقعة أُحد، والتقى المسلمون بالمشركين، واشتعلت نار الحرب وقامت على ساق، نقتطف من الواقعة موقف علي عليه السلام فيها، وما أصابه من العناء.

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار، فبرز ونادى: يا محمد أو يا معاشر أصحاب محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي، فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

يـــا طـــلـــح إن كـــنـــتـــم كـــمـــا تـــقـــول
لـــكـــم خـــيـــول ولـــنـــا نـــصـــول
فـــاثـــبـــت لـــنـــنـــظـــر أيـــنـــا الـــمـــقـــتـــول
وأيـــنـــا أولـــى بـــمـــا تـــقـــول
فـــقـــد أتـــاك الأســـد الـــصَّـــؤول
بـــصـــارم لـــيـــس بـــه فـــلـــول
يـــنـــصـــره الـــقـــاهـــر والـــرســـول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب،

فقال رسول الله ﷺ: أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله وابنه الآخر في جهاد الله بأرض الحبشة، فقال: يا رسول الله أسخطت علي في هذه الحالة؟ فقال: ما سخطت عليك، ولكن ذكرت عمي فانقبضت لذلك.

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين، قتل منهم علي بن أبي طالب سبعة وعشرين، كان الأسرى سبعين!!.

صورة أُخرى للواقعة: فصاح بهم عتبة: انتسبوا نعرفكم، فإن تكونوا أكفاء نقاتلكم. فقال عبيدة: أنا عبيدة وهو يومئذ أكبر المسلمين، فقال: هو كفو كريم، ثم قال لحمزة: من أنت؟ قال: حمزة بن عبد المطلب، أنا أسد الله وأسد رسوله، أنا صاحب الحلفاء، فقال له عتبة: سترى صولتك اليوم يا أسد الله وأسد رسوله قد لقيت أسد المطيبين!! فقال لعلي: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله وأخو رسوله، أنا علي بن أبي طالب. فقال: يا وليد دونك الغلام، فأقبل الوليد يشتد إلى علي، قد تنور وتخلق. وعليه خاتم من ذهب، بيده السيف قال علي: قد طال علي في طول نحو من ذراع، فختلته حتى ضرب يده التي فيها السيف، فبدرت يده وبدر السيف حتى نظرت إلى بصيص (بريق) الذهب في البطحاء، وصاح صيحة أسمع أهل العسكرين فذهب مولّياً نحو أبيه وشد عليه علي عليه السلام، فضرب فخذه فسقط، وقام علي عليه السلام وقال:

أنا ابن الحوضين عبد المطلب

وهاشم المطعم في العام السغب

أُوفي بميثاقي وأحمي عن حسب

ثم ضربه فقطع فخذه.

والثابتون وهم ما بين قتيل وجريح، وكان علي عليه السلام أكثرهم جراحاً، فقد أُصيب في ذلك اليوم بتسعين جراحة يصعب علاجها وتداويها[1].

في البحار: وقال شقيق بن سلمة: كنت أُماشي عمر بن الخطاب إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه يا عمر؟ فقال: ويحك!! أما ترى الهزبر القشم بن القشم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية!!! فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب. فقال: أُدن مني أحدّثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي صلى الله عليه وآله يوم أحُد على أن لا نفرَّ، ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد، والنبي صلى الله عليه وآله زعيم إذ حمل علينا مائة صنديد، تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طاحونتنا، فرأيت علياً عليه السلام كالليث يتقي الذر إذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به وجوهنا، ثم قال: «شاهت الوجوه، وقطت وبطت ولطت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟» فلم نرجع، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت!!! فقال: بايعتم ثم نكثتم؟ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوئين دماً، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن، الله الله!! فإن العرب تفر وتكر، وإن الكرّة تنفي الفرّة. فكأنه استحيا، فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة... ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أبو دجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام وكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيدفعهم عن رسول الله، ويقتلهم حتى انقطع سيفه.

---

(١) البحار - ج ٦.

قال: قد علمت يا قضم، أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك، فشد عليه طلحة فضربه، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالحجفة، ثم ضربه أمير المؤمنين على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره وسقطت الراية فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً، ثم أخذ الراية سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام، وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عثمان بن طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض فأخذها عزيز بن عثمان فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فأخذها عبد الله بن جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت رايته إلى الأرض، فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني الدار وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها مولاهم صوأب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها فسقطت الراية إلى الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبد الدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها.

وانهم المشركون وتبعهم المسلمون وشرعوا بجمع الغنائم، ولما رأى المشركون ذلك ووجدوا المسلمين مشغولين بالنهب رجعوا من طريق آخر، وجعلوا المسلمين في الوسط، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، بقيادة خالد بن الوليد، وقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة، وانقسم الناس آنذاك إلى قسمين: المنهزمون وهم الأكثر عدداً،

علي عليه السلام وقال: يا رسول الله أرأيت كيف فاتتني الشهادة؟ فقال الرسول: إنها من ورائك يا علي[1].

(١) البحار ـ ج ٩.

عن عكرمة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: لما انهزم الناس يوم أُحُد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط، ولم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعت أطلبه فلم أره فقلت: ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ليفرّ، وما رأيته في القتلى، وأظنه رُفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي، وقلت في نفسي: لأُقاتلن به عنه حتى أُقتل، وحملت على القوم فأفرجوا عني وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد وقع على الأرض مغشياً عليه فقمت على رأسه، فنظر إلي فقال: ما صنع الناس يا علي فقلت: كفروا يا رسول الله، وولوا الدُبُر من العدو، وأسلموك، فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: ردَّ عني يا علي هذه الكتيبة، فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا علي مديحك في السماء؟ إن ملكاً يقال له رضوان ينادي: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. فبكيت سروراً. وحمدت الله سبحانه على نعمته.

وفي رواية قال الصادق عليه السلام: انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب غضباً شديداً وكان إذا غضب انْحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العَرَق، فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه، فقال: مالك لم تلحق ببني أبيك؟ فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أكفر بعد إيماني؟ إن لي بك أُسوة، فقال: أما الآن فاكفني هؤلاء، فحمل علي عليه السلام فضرب أول من لقي منهم، فقال جبرائيل عليه السلام: إن هذه لهي المواساة يا محمد، قال: «إنه مني وأنا منه» قال جبرائيل: وأنا منكما.

وأقبل علي عليه السلام إلى المدينة وهو ثقيل بالجراحات، وبات على الفراش، ولما أصبح النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى دار علي يعوده، فبكى

علي عليه السلام يوم بني النضير

يوم توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير عَمَد يحمل على حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني حطمة من البطحاء، فلما جن الليل رماه رجل من بني النضير بسهم، فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحوّل قبته إلى السفح، وأحاط بها المهاجرون والأنصار فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الناس: يا رسول الله ما نرى علياً؟!، فقال عليه السلام: أراه في بعض ما يصلح شأنكم. فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله، وكان يقال له: عزوراً، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له، وقلت: ما أجرأ أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منّا غرّةً، فأقبل مصلتاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود، فشددت عليه وقتلته، فأفلت أصحاب، ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، معه عشرة، فأدركوهم قبل أن يدركوا الحصن، فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي وأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة. وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير.

علي عليه السلام يوم الخندق

تحزبت الأحزاب ضد رسول الله ﷺ في مكة وضواحيها وقصدت المدينة لمحاربة رسول الله، ونزل جبرائيل على النبي وأخبره فاستشار النبي أصحابه، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق حول المدينة، فأقبل رسول الله ومعه المهاجرون والأنصار، وحفروا الخندق، في جانب من المدينة يشبه نصف الدائرة، فلما فرغوا من حفر الخندق، وصل المشركون، ونزلوا بالقرب من الخندق.

وخرج فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبد ودّ أخو بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال، وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيأوا للحرب يا بني كنانة، فستعلمون اليوم مَن الفرسان؟ ثم أقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا: والله أن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، وتعرفها قبل ذلك فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه (سلمان) ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم، فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذ منهم الثغرة التي منها اقتحموا، وأقبلت الفرسان نحوهم، وكان بينهم عمرو ابن عبد ودّ فارس قريش

إنـــي كـــذلـــك لـــم أزل

مـتـسـرعـاً نـحـو الـهـزاهـز

إن الـسـمـاحـة والـشـجـاعـة

فـي الـفـتـى خـيـر الـغـرائـز

فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله أنا. فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً وأنا علي بن أبي طالب!! فاستأذن رسول الله ﷺ فأذن له، وألبسه درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعمَّمه عمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار (أدوار) ثم قال له: تقدّم. فقال لما ولى: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه».

ثم قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

فمشى إليه وهو يقول:

لا تـعـجـلـن فـقـد أتـا

ك مـجـيـب صـوتـك غـيـر عـاجـز

ذو نـيّـةٍ وبـصـيـرةٍ

والـصـدق مـنـجـي كـل فـائـز

إنـــي لأرجـــو أن أُقـــيـــم

عـلـيـك نـائـحـة الـجـنـائـز

مـن ضـربـة نـجـلاء يـبـقـى

ذكـرهـا عـنـد الـهـزاهـز

وما زال رسول الله ﷺ آنذاك رافعاً يديه مُقحماً رأسه إلى السماء داعياً به قائلاً: أللّهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد،

وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث (حمل من المعركة) وأثقلته الجراح فلم يشهد أُحُداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده، وكان يُعد بألف فارس وكان يسمى: فارس يليل لأنه: أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه: إمضوا، فمضوا، فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعُرف بذلك، وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق: المداد، وكان أول من طفره عمرو وأصحابه، فقيل في ذلك:

عـمـرو بـن ود كـان أول فـارس
جـزع الـمـداد وكـان فـارس يـلـيـل

وركز عمرو بن عبد ودّ رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله، ويرتجز.

وذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ودّ كان ينادي من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد فقام علي عليه السلام وهو مقنَّع في الحديد، فقال: أنا له يا نبي الله، فقال إنه عمرو، إجلس، ونادى عمرو: ألا رجل؟ وجعل يؤنبهم ويسبّهم، ويقول أين جنتكم التي تزعمون أن من قُتِل منكم دخلها؟ فقام علي عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، فأمره النبي بالجلوس رعاية لابنته فاطمة التي كانت تبكي على جراحات علي عليه السلام يوم أُحُد، ثم نادى الثالثة فقال:

ولـقـد بـحـحـتُ مـن الـنـداء
بـجـمـعـكـم هـل مـن مـبـارز؟
ووقـفـت إذ جـبـن الـمـشـجـع
مـوقـف الـبـطـل الـمـنـاجـز

ثم نزل فعقر فرسه ـ وقيل ضرب وجه فرسه ففر ـ ثم قصد نحو علي عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه، فأصاب السيف الدرقة فقطعها، ووصل السيف إلى رأس علي عليه السلام.

فضربه عليّ عليه السلام على عاتقة فسقط، وفي رواية: فضربه على رجليه بالسيف فوقع على قفاه، وثار العجاج والغبار، وأقبل علي ليقطع رأسه فجلس على صدره، فتفل اللعينُ في وجه الإمام عليه السلام فغضب عليه السلام، وقام عن صدره يتمشى حتى سكن غضبه، ثم عاد إليه فقتله.

وقال ربيعة بن مالك السعدي: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصيرة: إنكم لتفرطون في تفريظ (تقريظ خ ل) هذا الرجل. فهل أنت محدّثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك به عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده: لو وُضع جميع أعمال أمة محمد في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في كفة أُخرى لرجح على أعمالهم كلها، فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله!!!

فقال حذيفة: يا لكع! وكيف لا يحمل؟ وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه؟ فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه فقتله؟

والذي نفس حذيفة بيده: لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أُمة محمد إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

فاحفظ عليَّ اليوم علياً، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين. فقال عمرو: من أنت؟ وكان عمرو شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين، وكان نديم أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية، فانتسب علي له.

فقال عمرو: أجل لقد كان بوك نديماً لي وصديقاً، فارجع فإني لا أُحب قتلك! فقال علي عليه السلام: لكني أُحب أن أقتلك! فقال عمرو: يا ابن أخي إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، فارجع وراءك خير لك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلي أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شايلاً بين السماء والأرض لا حي ولا ميت!!

فقال له علي عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: كلتاهما لك يا علي؟ تلك إذن قسمة ضيزى!!

فقال علي عليه السلام: إن قريشاً تتحدث عنك أنك قلت: لا يدعوني أحد إلى ثلاث إلاَّ أُجيب، ولو إلى واحدة منها؟ قال: أجل. قال: فإني أدعوك إلى الإسلام، وفي رواية: أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: دع هذه!! أو نَحّ هذا.

قال: فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن يتبعك من قريش إلى مكة، فإن يك محمد صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. قال: إذن تتحدث نساءُ قريش عني: أن غلاماً خدعني وينشد الشعراءُ فيَّ أشعارها أني جبنت، ورجعت على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم. قال: فإذني أدعوك إلى البراز راجلاً، فجمى عمرو وقال: ما كنت أظن أحداً من العرب يرومها مني.

فأجابه بعض بني عامر:

كذبتم وبيت الله لم تقتلونا
ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغى
بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن ود ولا ابنه
ولكنه الكفو الهزبر الغضنفر
علي الذي في الفجر طال ثناؤه
فلا تكثروا الدعوى عليه فتفجروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم
شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة
وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فاقبلوا
إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية
فدمَّرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا
وليس لكم فخر يعدّ ويذكر

وكان عليه السلام يقول ـ مشيراً إلى هذه الفضيلة ـ:

أعليَّ تفتخر الفوارس هكذا؟
عني وعنهم خبروا أصحابي

وجاء عليٌّ برأس عمرو إلى رسول الله ﷺ فتهلل وجه رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر بن الخطاب وقبّلا رأسه، وكان علي عليه السلام يقول:

أنا علي وابن عبد المطلب
الموت خير للفتى من الهرب

فقال عمر: هلاَّ سلبته درعه، فإنه ليس في العرب درع مثلها؟ فقال علي عليه السلام: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي.

وفي رواية: لما جلس علي عليه السلام على صدر عمرو ليذبحه قال له عمرو: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلَّتي، فقال عليه السلام: هي أهون علي من ذلك.

ولما قتل علي عليه السلام عمراً انهزم المشركون وانكسرت شوكتهم، وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام.

قال حسان بن ثابت في قتل عمرو بن عبد ود:

أمسى الفتى عمرو بن ود يبتغي
بجنوب يثرب غارة لم تنظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة
ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة
ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر
أصبحت لا تدعى ليوم كريهة
يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

لـو كـان قـاتـل عـمـرو غـيـر قـاتـلـه
لـكـنـت أبـكـي عـلـيـه آخـر الأبـد
لـكـن قـاتـلـه مـن لا يـعـاب بـه
وكـان يـدعـى قـديـمـاً بـيـضـة الـبـلـد

وفي نسخة: وكان يدعى أبوه بيضة البلد.

ولقد أجاد المرحوم الشيخ كاظم الأزري (عليه الرحمة) في قصيدته الألفية التي يقول فيها:

ظـهـرت مـنـه فـي الـوغـى سـطـوات
مـا أتـى الـقـوم كـلـهـم مـا أتـاهـا
يـوم غـصـت بـجـيـش عـمـرو بـن ود
لـهـوات الـفـلا وضـاق فـضـاهـا
وتـخـطـى إلـى الـمـديـنـة فـرداً
بـسـرايـا عـزائـم سـاراهـا
فـدعـاهـم وهـم أُلـوف ولـكـن
يـنـظـرون الـذي يـشـب لـظـاهـا
أيـن أنـتـم عـن قـسـور عـامـري
تـتـقـي الأُسـد بـأسـه فـي شـراهـا
فـابـتـدى الـمـصـطـفـى يـحـدّث عـمـا
يـؤجـر الـصـابـرون فـي أُخـراهـا
قـائـلاً: إن لـلـجـلـيـل جـنـانـاً
لـيـس غـيـر الـمـجـاهـديـن يـراهـا
أيـن مـن نـفـسـه تـتـوق إلـى
الـجـنـات أو يـورد الـجـحـيـم عـداهـا

اليوم يمنعني الفرارَ حفيظتي
ومصمم في الرأس ليس بنابي
أرديت عمراً إذ طغى بمهند
صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة عن سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً
كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني
كنت المقطَّر بزَّني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الأحزاب

وقال رسول الله ﷺ: ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.

وفي رواية الحاكم في المستدرك: لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

وسبب ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهنٌ بقتل عمرو، ولم يبق في المسلمين بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عزٌّ بقتل عمرو.

ولما وصل الخبر إلى أُخت عمرو قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: علي بن أبي طالب. فقالت: لم يعدُ موته إلا على يد كفو كريم لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قاتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشأت تقول:

علي عليه السلام يوم خيبر

قال الطبرسي (ره): لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة، ثم خرج منها غازياً إلى خيبر.

خيبر اسم منطقة تبعد عن المدينة المنورة ساعات، وهي عبارة عن حصون وقلاع محصنة كانت اليهود تسكنها يومذاك، فلما وصل النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر، واستعد للقتال واصطف العسكران، خرج رجل من المسلمين اسمه: عامر بن الأكوع يبارز رجلاً من اليهود اسمه مرحب، وكان مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب

فأجابه عامر:

قد علمت خيبر أني عامر
شاكي السلاح بطل مغامر

فتضاربا بالسيف، فوق سيف عامر على ركبته فمات منه.

وحاصر النبي تلك الحصون خمساً وعشرين يوماً، ثم أعطى رايته أبا بكر وقيل: أعطى الراية إلى عمر بن الخطاب أولاً فنهض ونهض معه المسلمون فلقوا أهل خيبر فرجعوا.

مـن لـعـمـرو؟ وقـد ضـمـنـت عـلـى
الله لـــه مـــن جـــنـــاتـــه أعـــلاهـــا

فـــالـــتـــووا عـــن جـــوابـــه كـــســـوام
لا تـــراهـــا مـــجـــيـــبـــة مـــن دعـــاهـــا

وإذا هـــــم بـــــفـــــارس قـــــرشـــــي
تـــرجـــف الأرض خـــيـــفـــة إذ يـــطـــاهـــا

قـــائـــلاً: مـــا لـــهـــا ســـواي كـــفـــيـــل
هـــــذه ذمّـــــةٌ عـــــلـــــيَّ وفـــــاهـــــا

ومـــشـــى يـــطـــلـــب الـــصـــفـــوف كـــمـــا
تـمـشـي خـمـاص الـحـشـا إلـى مـرعـاهـا

فـــانـــتـــضـــى مـــشـــرفـــيَّـــه فـــتـــلـــقـــى
ســـاق عـــمـــرو بـــضـــربـــة فـــبـــراهـــا

وإلـــى الـــحـــشـــر رنـــة الـــســـيـــف مـــنـــه
يـــمـــلأُ الـــخـــافـــقـــيـــن رجـــع صـــداهـــا

يـــا لـــهـــا ضـــربـــة حـــوت مـــكـــرمـــات
لـــم يـــزن ثِـــقـــل أجـــرهـــا ثَـــقَـــلاهـــا

هـــذه مـــن عـــلاه إحـــدى الـــمـــعـــالـــي
وعـــلـــى هـــذه فـــقـــس مـــا ســـواهـــا

من الحصن، وأشرف عليه حبر من الأحبار فقال: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غُلبتم وما أنزل على موسى - أي غلبتم قسماً بالتورة التي نزلت على موسى عليه السلام -.

فخرج إليه مرحب في عامة اليهود، وعليه مغفرة وحجر قد ثقبه مثل البيضة على أُم رأسه وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمتني أُمي حيدرة
ضرغام آجام وليث قسورة
على الأعادي مثل ريح صرصرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة
أضرب بالسيف رقاب الكفرة

فلما سمع مرحب منه ذلك هرب ولم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظئره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود فقال له: إلى أين يا مرحب؟ فقال: قد تسمى علي هذا القرن بحيدرة فقال له إبليس: فما حيدرة: قال مرحب: إن فلانة ظئري (مرضعتي) كانت تحذرني من مبارزة رجل إسمه: حيدرة. وتقول: إنه قاتلك. فقال إبليس: شوهاً لك! لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء وهن يخطئن أكثر مما يصبن، وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك،

وأعطى الراية أبا بكر في اليوم الثاني فذهب مع المسلمين فرجع يجبِّن أصحابه ويجبنونه، فلما علم النبي ذلك قال: لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه.

فبات الناس يتفكرون حول الرجل الموصوف بهذه الصفات، المقصود بكلام رسول الله ﷺ وكان علي غائباً في تلك الغزوة، وما كان الناس يحسبونه المقصود بكلام النبي، حتى قال بعضهم: أما علي فقد كُفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه. بل كان كل منهم يرجو أن يعطي الراية، وأصبح الصباح وخرج رسول الله ﷺ بالراية، وأقبل الناس إلى النبي ليعرفوا الرجل الذي يستحق أن يكون حاملاً لراية الإسلام وفاتحاً لحصون اليهود؟

فقال النبي ﷺ: أين علي بن أبي طالب فقيل: هو يشتكي عينيه، فقال: أرسلوا إليه. فجاؤوا به على بغلة وعينه معصوبة بخرقة، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي ﷺ فقال النبي: ما تشتكي يا علي؟ قال: رمد ما أبصر معه، وصداع برأسي. فقال النبي: إجلس وَضَعْ رأسك على فخذي. ففعل علي ذلك: فدعا له النبي ﷺ وتفل في يده فمسح بها على عينيه ورأسه فانفتحت عيناه وسكن ما كان يجده من الصداع وقال النبي: اللهم قِهِ الحر والبرد. وأعطاه الراية وكانت بيضاء فقالت له: خذ الراية وامض بها، فجبرائيل معك، والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمّر عليهم اسمه: (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا علي، فإنهم يُخذَلون إن شاء الله.

فأقبل علي عليه السلام بالراية يهرول بها ولحقه الناس فركز رمحه قريباً

وكان علي أرمد العين يبتغي

دواءً فلما لم يحس مداوياً

شفاه رسول الله منه بتفلة

فبورك مرقيا وبورك راقيا

وقال: سأُعطي الراية اليوم صارماً

كمياً محباً للرسول موالياً

يحب إلهي والإله يحبه

به يفتح الله الحصون الأوابيا

فأصفى بها دون البرية كلها

علياً وسماه الوزير المواخيا

فعند ذلك قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك قولاً لا تمرّ بملأٍ إلا أخذوا من تراب رجليك، ومن فضل طهورك يستشفون به، ولكن حسبك: أن تكون أنت مني وأنا منك، ترثني وأرثك، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، وإنك تبرئُ ذمتي وتقاتل على سنتي، وإنك في الآخرة أقرب الناس مني، وإنك غداً على الحوض خليفتي، وإنك أول من يرد عليَّ الحوض غداً، وإنك أول من يُكسى معي، وإنك أول من يدخل الجنة من أُمتي، وإن شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيراني، وإن حربك حربي، وإن سلمك سلمي، وإن سرك سري وإن علانيتك علانيتي، وإن سريرة صدرك كسريرة صدري وإن وُلدت وُلدي وإنك تنجز عدتي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك، وبين عينيك، وإن الإيمان مخالط لحمك ودمك

وأنا في ظهرك استصرخ اليهود لك.

فرجع مرحب إلى قتال علي عليه السلام فدعاهم علي عليه السلام إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختاروا الحرب، فضربه الإمام بالسيف على رأسه ضربة قطعت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه، فخر صريعاً، وحمل علي عليه السلام على الجيش اليهودي فانهزموا ودخلوا الحصن، وسدوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور، كأنه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف، وقد ذكرنا في الجزء الثاني من شرح نهج البلاغة بياناً حول الباب الموبور.

رمى علي عليه السلام القوس من يده اليسرى وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر وكان السيف بيده اليمنى ثم جذبه إليه فانهار الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى، فحملت عليه اليهود، فجعل علي عليه السلام الباب ترساً له وحمل عليهم فانهزموا، فرمى الحجر بيده اليسرى إلى خلفه فمر الحجر على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر، وإلى هذا أشار ابن أبي الحديد في قصيدته مخاطباً الإمام عليه السلام:

يا قالع الباب الذي عن هزه

عجزت أكفٌ أربعون وأربع

واجتمع المسلمون ليرفعوا ذلك الحجر فلم يستطيعوا وهم أربعون رجلاً، وفتح علي تلك الحصون.

وتقدم حسان بن ثابت واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول شعراً فقال له: قل. فأنشأ يقول:

عـائـد لـلـمـؤمـلـيـن مـجـيـب

سـامـع مـا تـسـرّ مـن نـجـواهـا

إنـمـا الـمـصـطـفـى مـديـنـة عـلـم

وهـو الـبـاب مـن أتـاه أتـاهـا

وهـمـا مـقـلـتـا الـعـوالـم يـسـرا

هـا عـلـي وأحـمـد يـمـنـاهـا

كما خالط لحمي ودمي، وأنه لا يرد عليَّ الحوض مبغض لك، ولن يغيب عنه محب لك غداً حتى يردوا الحوض معك.

فخر علي عليه السلام ساجداً شكراً لله.

وقال المرحوم الشيخ الأُزري في قصيدته الفريدة:

ولـه يـوم خـيـبـر فـتـكـات
كـبـرت مـنـتـظـراً عـلـى مـن رآهـا
يـوم قـال الـنـبـي. إنـي لأُعـطـي
رايـتـي لـيـثـهـا وحـامـي حـمـاهـا
فـاسـتـطـالـت أعـنـاق كـل فـريـق
لـيـروا أي مـاجـد يُـعـطـاهـا
فـدعـى: أيـن وارث الـعـلـم والـحـلـ
ـم مـجـيـر الأيـام مـن بـاسـاهـا
أيـن ذو الـنـجـدة الـذي لـو دعـتـه
فـي الـثـريـا مـروعـة لـبّـاهـا
فـأتـاه الـوصـي أرمـد عـيـن
فـسـقـاهـا مـن ريـقـه فـشـفـاهـا
ومـضـى يـطـلـب الـصـفـوف فـولـت
عـنـه عـلـمـاً بـأنـه أمـضـاهـا
ويـرى مـرحـبـاً بـكـف اقـتـدار
أقـويـاء الأقـدار مـن ضـعـفـاهـا
ودحـى بـابـهـا بـقـوة بـأس
لـو حـمـتـهـا الأفـلاك مـنـه دحـاهـا

علي عليه السلام يوم حنين

وفي يوم حنين لما تقدم أبو جرول ووراءه المشركون، وكانت الراية بيده وهو يرتجز قائلاً:

أنـــا أبـــو جـــرول لابـــراح
حـتـى نـبـيـح الـقـوم أو نـبـاح

فقصده أمير المؤمنين فضرب عجز بعيره ثم ضربه وقتله ثم قال:

قـد عـلـم الـقـوم لـدى الـصـبـاح
إنـي لـدى الـهـيـجـاء ذو نـصـاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول، وحمل عليهم المسلمون يقدمهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقتل منهم أربعين رجلاً وانهزم الباقون، وأُسر من أُسر منهم، وذلك بعد هزيمة المسلمين وتفرقهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد ذكر القرآن الكريم موقف المسلمين يومذاك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولابن أبي الحديد كلمة بالمناسبة في مقدمة شرحه على النهج:

«أما الشجاعة: فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحى

الليلة السابعة

علي عليه السلام والقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

القرآن كتاب الله عز وجل ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلام الله الذي لا يتبع الهوى ولا يميل إلى الاتجاهات بدافع العاطفة بل هو الحق.

هناك حديث نبوي شريف اتفق عليه الشيعة والسنة، إنه قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

نجد ـ في الحديث ـ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يقرن العترة بالقرآن والقرآن بالعترة، ويخبر عنهما أنهما لن يفترقا ولن يختلفا في المبدأ وفي أي شيءٍ، فالقرآن يوافق العترة، والعترة تمشي تحت ظل القرآن، فلا اختلاف ولا تنافي بين القرآن والعترة، بل هما متلازمان ومتفقان.

اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحرب مشهورة، يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فرَّ قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلاَّ قتله، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية.

وفي الحديث: كانت ضرباته وتراً، ولما دعى معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، فقال له عمرو بن العاص: لقد أنصفك! فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاَّ اليوم!! أتأمرني بمبارَزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي...».

كمية هائلة وافرة من الآيات البينات التي شملت أهل البيت عليهم السلام أولاً ثم بقية المسلمين ثانياً، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ما أنزل الله آية فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا وعلي رأسها وأميرها.

وروى ابن حجر في الصواعق: عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هم أنت يا علي وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، وتأتي أعداؤك غضاباً مقحمين.

إلى غير ذلك من عشرات الآيات المؤولة بعلي بن أبي طالب عليه السلام المذكورة في الصحاح ورواها المحدثون في صحاحهم.

وفي القرآن آيات واضحات نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام وكان علي عليه السلام أحدهم بل سيدهم، كما في آية المباهلة وسورة هل أتى وآية التطهير وغيرها مما يطول الكلام بذكر تلك الآيات فلنذكر ـ بصورة موجزة ـ كلاماً حول آية التطهير والمباهلة وسورة هل أتى، ثم ننظر أين ينتهي بنا الكلام:

لقد أجمع المفسرون والمحدثون ـ إلا الشاذ النادر منهم ـ واتفقت كلمتهم على: أن آية التطهير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وإن كان هناك اختلاف في ألفاظ الحديث فالمؤدى واحد.

وخلاصة الواقعة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى رداءً أو عباءة أو كساءً أو ثوباً أو قطيفة على علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وبناءً على هذا هل يمكن أن يسكت القرآن عن عديله وقرينه؟ فيخلو عن اسم العترة والإشارة إليهم؟؟

كلا ثم كلا، فالقرآن فيه تبيان كل شيءٍ وحاشاه أن يسكت عن الإشادة والتنويه عن أشرف أُسرة على وجه الأرض وهم أسرة رسول الله الطيبة وعترته الطاهرة، وعلى رأسهم سيد العترة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي ضرب الرقم القياسي في كل مباراة وفاز بكأس البطولة في كل ميدان سباق، وهو والقرآن يسيران في طريق واحد، ويدعوان إلى مبدأ وهدف واحد، فعلي عليه السلام يعرّف القرآن وفنونه وعلومه وأحكامه وفضائله ومزاياه، والقآآن يجلب الانتباه إلى شخصية علي عليه السلام ومكارمه ومحاسنه وخصائصه، وينوِّه عن مواقفه ومواطنه وتضحياته في سبيل الهدى الذي أُنزل من أجله القرآن.

أليس القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان؟

أو ليس القرآن يهدي للتي هي أقوم؟

أو ليس القرآن فيه موعظة وشفاءٌ وهدى ورحمة للمؤمنين؟

أو ليس القرآن هو الحق ويدعو إلى الحق؟

فهذا علي عليه السلام عديل القرآن ويسير مع القرآن جنباً بجنب، يدعو ويهدي ويبيّن ويعظ ويفرق بين الحق والباطل.

إذن، فلا مانع أن يحتوي القرآن (وهو كلام الله المجيد) شيئاً من تقدير الله تعالى لمواقف علي عليه السلام والإشادة بفضله وإن لم يكن التنويه صريحاً فقد تكون الكناية أبلغ من التصريح وأوقع في النفس للتحري عن الحقيقة المقصودة.

ولم يكتنف القرآن بالإشارة إلى فضائل علي، فحسب، بل نجد

في مسنده، والواحدي في تفسيره (البسيط)، وابن البطريق في المستدرك. والرازي في تفسيره وغيرهم ممن يطول الكلام بذكرهم والباقون يقولون إن الآية تشمل أهل البيت وسائر زوجات النبي ﷺ. وقد مرّ عليكم أن المفسرين والمحدثين ذكروا أن النبي لم يأذن لزوجته أُم سلمة أن تدخل تحت الكساء أو الثوب، فكيف تشمل الآية صفية أُخت مرحب التي كانت يهودية خيبرية وغيرهن ممن سبق الكفر والشرك إسلامَهن؟

ولا دليل لهؤلاء إلا سياق الآية وترتيبها، أو ما يكفي مجيءُ رسول الله باب بيت علي وفاطمة أربعين صباحاً أو ستة أشهر أو تسعة أشهر يطرق عليهم الباب ويتلو عليهم الآية ليكون دليلاً على أن المقصود بآية التطهير هم أهل هذا البيت فقط، ولم يُعهد من النبي ﷺ أنه طرق باب إحدى زوجاته وتلى عليها الآية ولو مرة واحدة.

ثم إن سياق الآية وأُسلوبها يدلان على كلامنا، فإن الخطابات الموجهة إلى زوجات النبي في الآية كلها ضمائر مؤنثة. قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ (لَسْتُنَّ) كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ (ٱتَّقَيْتُنَّ) فَلَا (تَخْضَعْنَ) بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ (وَقُلْنَ) قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (وَقَرْنَ) فِى (بُيُوتِكُنَّ) وَلَا (تَبَرَّجْنَ) تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ (وَأَقِمْنَ) ٱلصَّلَوٰةَ (وَءَاتِينَ) ٱلزَّكَوٰةَ (وَأَطِعْنَ) ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (وَٱذْكُرْنَ) مَا يُتْلَىٰ فِى (بُيُوتِكُنَّ) مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

ويظهر بكل وضوح أن الضمائر الموجودة في آية التطهير تختلف عما سبقتها ولحقتها من الآيات والخطابات، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ولم يقل:

فقالت أُم سلمة: يا رسول الله فأنا؟ وفي رواية: فأنا من أهلك أو: وأنا معكم؟ أو: ألا أدخل معكم؟.

فقال النبيﷺ: إنك على خير، أو: مكانك، أو: تنحي وفي رواية: فرفعت الكساء لأدخل فجذبه من يدي وقال: إنك على خير وإنك من أزواج النبي.

فنزلت الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قال أبو سعيد الخدري: كان النبيﷺ يأتي باب علي أربعين صباحاً فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً، أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.

وقال أبو الحمراء: خدمت رسول اللهﷺ تسعة أشهر أو عشرة أشهر ـ فأما التسعة فلا أشك فيها ـ ورسول الله يخرج من طلوع الفجر فيأتي باب فاطمة وعلي والحسن والحسين فيأخذ بعضادتي الباب فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الصلاة، يرحمكم الله. فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فيقول رسول الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فكلهم متفقون على اختصاص آية التطهير بعلي وفاطمة والحسن والحسين، لا تشاركهم زوجات النبي فيها.

ومن أعلام السنة ذكر ذلك: الثعلبي في تفسيره وأحمد بن حنبل

علي عليه السلام يوم المباهلة

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزل عليه سورة النمل: ﴿طسٓ﴾ سليمان: «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أُسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد أُوذنتم بحرب، والسلام» فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وادعة، فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأه، فقال له الأُسقف: ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن من أن يكون ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك، فبعث الأُسقف إلى واحد من بعد واحد من أهل نجران فكلهم قال مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وادعة وعبد الله بن شرحبيل وجبار بن فيض فيأتونهم بخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فانطلق الوفد حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألهم وسألوه، فلم تنزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما

عنكن، ويطهركن. فالعدول عن الضمائر المؤنثة إلى الضمائر المذكرة يدل على اختصاص الخطاب بغير نساء النبي المخاطبات في الآية.

هذا وقد ذكر سيدنا المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه: «الكلمة الغراءُ في تفضيل الزهراء» بياناً كافياً وكلاماً شافياً حول الأدلة والبراهين والقرائن التي تدل على تخصيص آية التطهير بفاطمة وبعلها وبنيها، وقبل ذلك أسهب شيخنا المجلسي رحمه الله في تفسير هذه الآية وفيما قيل فيها من الدلالة على الاختصاص بأهل البيت عليهم السلام.

وقد ذكروا في شأن نزول آية التطهير واجتماع النبي صلى الله عليه وآله مع علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجوهاً كثيرة، والكل متفقون على أن آية التطهير نزلت في هؤلاء عليهم السلام.

وهذه الآية تدل بكل صراحة على عصمة أصحاب الكساء، وأنهم معصومون من كل ذنب وكل خطأٍ، والعصمة من مراتب الأنبياء والأوصياء وهي أعلى درجات الرقي والتقرب عند الله تعالى.

يديه فقال له الأُسقف: يا أبا القاسم فذاك موسى من أبوه؟

النبي ﷺ: عمران.

الأُسقف: فيوسف من أبوه؟

النبي ﷺ: يعقوب.

الأُسقف: فداك أبي وأمي فأنت من أبوك؟

النبي ﷺ: عبد الله بن عبد المطلب.

الأُسقف: فعيسى من أبوه؟

فسكت النبي ﷺ فنزل جبرئيل، فقال هو روح الله وكلمته.

الأسقف: يكون روح بلا جسد؟

فسكت النبي ﷺ، فأُوحي إليه ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ فوثب الأُسقف وثبة إعظامٍ لعيسى أن يقال له من تراب. ثم قال: ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلا عندك.

فأوحى الله إليه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾...

فقالوا: أنصفتنا يا أبا القاسم، فمتى موعدك؟ قال: بالغداة إن شاء الله، ثم قال علي بن أبي طالب عليه السلام: فلما صلى النبي ﷺ الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه، وأخذ فاطمة عليها السلام فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين عن يمينه وعن شماله ثم برك لهم باركا، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا وتآمروا فيما بينهم وقالوا: والله إنه لنبي، ولئن باهَلَنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا شيء منه إلا أن

تقول في عيسى ابن مريم؟ فقال رسول الله ﷺ: ما عندي فيه شيءٌ يومي هذا فأقيموا حتى أُخبركم بما يقال لي في عيسى صبح الغداة، فأنزل الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فأبوا أن يقروا بذلك. فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة له ومعه علي عليه السلام وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: إني أرى أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فنُلاعِنه ولا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك، فقالا له: ما رأيك؟ فقال: رأيي أن أُحكِّمه فإني أرى رجلاً مقبلاً لا يحكم شططاً أبداً، فقالا له: أنت وذاك، فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك، قال: وما هو؟ قال: أُحكِّمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم وصالحهم على الجزية.

صورة أُخرى للمباهلة

عن علي عليه السلام قال: لما قدم وفد نجران على النبي ﷺ قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم: العاقب ومحسن والأُسقف فجاؤوا إلى اليهود وهم في البيت، فصاحوا بهم يا إخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم، إنزلوا إلينا، فنزل إليهم منصور اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي، فقالوا لهم: إحضروا غداً نمتحنه، فقال: وكان النبي ﷺ إذا صلى الصبح سأل: هاهنا من الممتحنة أحد؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما أُنزل عليه في تلك الليلة، فلما صلى الصبح جلسوا بين

قال الطبرسي ـ رحمه الله ـ: أجمع المفسرون على أن المراد بـ ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، قال أبو بكر الرازي: هذا يدل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله، وأن ولد الإبنة ابنٌ في الحقيقة.

وقال ابن أبي علان ـ وهو أحد أئمة المعتزلة ـ: هذا يدل على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا مكلَّفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل، وإنما جُعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية، وكان سنهما في تلك الحال سناً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل، على أن عندنا يجوز أن يخرق العادات للأئمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرُهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عمن سواهم، ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم به، ومما يؤيده من الأخبار قول النبي صلى الله عليه وآله: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا.

﴿وَنِسَآءَنَا﴾ اتفقوا على أن المراد به فاطمة عليها السلام لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء، ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ يعني علياً خاصة، ولا يجوز أن يكون المعنيّ به النبي صلى الله عليه وآله لأنه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيرَه. وإذا كان قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول وجب أن يكون إشارة إلى علي عليه السلام لأنه لا أحد يدَّعي دخول غير أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته وولديه عليهما السلام في المباهلة، وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد، إذ جعله الله سبحانه نفس الرسول، وهذا ما لا يدانيه أحد ولا يقاربه ـ انتهى.

نستقيله، قال: فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه، ثم قالوا: يا أبا القاسم أقلنا، قال: نعم، قد أقلتكم، أما والذي بعثني بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلا أهلكه.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب الفصول: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن؟ قال: فقال الرضا عليه السلام فضيلة في المباهلة، قال جل جلاله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل، فواجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله بحكم الله عز وجل، وقال: فقال المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنيه خاصة؟ وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وحدها؟ فألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره؟ فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل، قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس يصح ما ذكرت ـ يا أمير المؤمنين ـ وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما أن الآمر آمر لغيره ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله في المباهلة رجلاً إلا أمير المؤمنين عليه السلام فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله. قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال.

الرسولﷺ في هذه الآية، ليس المراد النفسية الحقيقية، لامتناع إتحاد الاثنين، وأقرب المجازات إلى الحقيقة اشتراكهما في الصفات والكمالات وخرجت النبوة بالدليل، فبقي غيرها، ومن جملتها وجوب الطاعة والرئاسة العامة والفضل على من سواه وسائر الفضائل.

قال الإمام الرازي في كتابه الأربعين: وأما الشيعة فقد احتجوا على أن علياً أفضل الصحابة بوجوه: الحجة الأولى التمسك بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ وثبت بالأخبار الصحيحة أن المراد من قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ هو علي، ومن المعلوم أنه يمتنع أن تكون نفس علي هي نفس محمد بعينه فلا بد أن يكون المراد هو المساواة بين النفسين وهذا يقتضي أن كل ما حصل لمحمد من الفضائل والمناقب فقد حصل مثله لعلي، ترك العمل بهذا في فضيلة النبوة فوجب أن تحصل المساواة بينهما وراء هذه الصفة، ثم لا شك أن محمداًﷺ كان أفضل الخلق في سائر الفضائل، فلما كان علي مساوياً له في تلك الفضائل وجب أن يكون أفضل الخلق، لأن المساوي للأفضل يجب أن يكون أفضل.

ولنعم ما قال الشيخ كاظم الأزري في هذه المناسبة:

يابن عم النبي أنت يد
الله التي عمَّ كل شيء نداها
أنت قرآنه القديم وأوصا
فك آياته التي أوحاها
خصك الله في مآثر شتى
هي مثل الأعداد لا تتناهى

قال شيخنا المجلسي ـ رحمه الله ـ: ويدل على كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه ابن حجر في صواعقه رواية عن الدارقطني: أن علياً عليه السلام يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم: أنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الرحم مني؟ ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا.

ولا يخفى أن تخصيص هؤلاء من بين جمع أقاربه صلى الله عليه وآله للمباهلة دون عباس وعقيل وجعفر وغيرهم لا يكون إلا لأحد شيئين:

إما لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده، حيث استعان بهم في الدعاء على العدو دون غيرهم، وإما لكونهم أعز الخلق عليه حيث عرضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه على حقيته، حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدة حبه لهم، وظاهر أن حبه صلى الله عليه وآله لم يكن من جهة البشرية والأمور الدنيوية، بل لم يكن يحب إلا مَن يحبه الله، ولم يكن حبه إلا خالصاً لله... الخ.

قال بعض الأعلام: وخلاصة الكلام: أن مدار الحب في رسول الله صلى الله عليه وآله التقوى والورع وسائر الفضائل والملكات الحسنة لا الأغراض الدنيوية الفاسدة، فتخصيصه صلى الله عليه وآله هؤلاء من بين جميع أقاربه دليل على محبته إياهم، ومحبته دليل على كونهم أتقى وأروع وأفضل من غيرهم.

قال المجلسي (رحمه الله): فإذا ثبت ذلك فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق وأحبهم إلى الله، فيكونون أفضل من غيرهم، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم وأيضاً لما ثبت أن المقصود بنفس

علي عليه السلام يتصدق بالخاتم

عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيك يا رسول الله؟ ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قوموا. فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم هذا الخاتم، قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي، قال، على أي حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً. فكبر النبي صلى الله عليه وآله وكبر أهل المسجد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب وليكم بعدي، قالوا رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي
وكل بطيء في الهدى ومسارع

ليت عيناً بغير روضك ترعى
قذيت واستمر فيها قذاها
أنت بعد النبي خير البرايا
والسما خير ما بها قمراها
لك ذات كذاته حيث لولا
أنها مثلها لما آخاها

تـــصـــدق خـــاتـــمـــه راكـــعـــاً

فـــأحـــســـن بـــفـــعـــل إمـــام الـــورى

فـــفـــضّـــلـــه الله رب الـــعـــبـــاد

وأنـــزل فـــي شـــأنـــه هـــل أتـــى

(صورة أُخرى لنزول الآية)

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلم على النبي ﷺ ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتـيـتـك والـعـذراءُ تـبـكـي بِـرنـةٍ

وقـد ذهـلـت أُم الـصـبـي عـن الـطـفـل

وأُخـــت وبـــنـــتـــان وأُم كـــبـــيـــرة

وقد كدت من فقري أُخالط في عقلي

وقـــد مـــســـنـــي فـــقـــر وذل وفـــاقـــة

ولـيـس لـنـا شـيءٌ يـمـر ولا يـحـلـي

ولـــســـنـــا نـــرى إلا إلـــيـــك فـــرارنـــا

وأيـن مـفـر الـخـلـق إلا إلـى الـرسـل

فلما سمع النبي ﷺ ذلك بكى بكاءً شديداً، ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى، قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً، والجزاءُ من الله غرف في الجنة، تضاهي غرف إبراهيم الخليل عليه السلام، فمن منكم يواسي هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له

أيذهب مدحي والمحبر ضائع
وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً
فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية
وبيَّنها في محكمات الشرايع

وقال أيضاً:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى
وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا
وأول من أدى الزكاة بكفه
وأول من صلى ومن صام طاويا
فلما أتاه سائل مد كفه
إليه ولم يبخل ولم يك جافيا
فدس إليه خاتماً وهو راكع
وما زال أوّاهاً إلى الخير داعيا
فبشَّر جبريل النبي محمداً
بذاك وجاء الوحي في ذاك ضاحيا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

فديت عليا إمام الورى
سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول
إمام البرية شمس الضحى

وقال: اللهم أشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً.

وكان علي عليه السلام راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيه، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وآله وهو يصلي، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم إشرح لي صدري ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري.

قال أبو ذر: فما أتمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كلامه حتى نزل جبرئيل من عند الله عز وجل فقال: يا محمد: اقرأ فأنزل الله عليه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

وقد روى المفسرون في نزول هذه الآية أنها في شأن علي عليه السلام لما تصدق بخاتمه على السائل، وإن اختلفت ألفاظ الحديث فالمفاد والمضمون واحد.

وهذه الآية تصرح لعلي عليه السلام بالولاية العامة على المسلمين تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله، وسنذكر في حديث الغدير ما تيسر من معنى الولي والمولى إن شاء الله...

دائماً، فأومأ إلى الأعرابي بيده فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته فأخذه الأعرابي وانصرف.

ثم إن النبي أتاه جبرئيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إقرأ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

فعند ذلك قام النبيﷺ قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل من آمن؟ قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنَّه تصدق بخاتمه على الأعرابي وهو يصلي، فقال النبيﷺ: وجبت الغرف لابن عمي علي بن أبي طالب، فقرأ عليهم الآية... الخ.

(صورة ثالثة)

في المناقب وكشف الغمة: بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله إذ أقبل رجل متعمم بعمامة، فجعل كلما قال ابن عباس: قال رسول الله يقول الرجل: قاله رسول الله. فقال له ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرِّفه نفسي: أنا جندب بن جنادة البدري أبو ذر الغفاري سمعت رسول اللهﷺ بهاتين وإلا صُمَّتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله.

أما إني صليت مع رسول اللهﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء

الليلة الثامنة

علي عليه السلام في سورة هل أتى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

في أمالي الصدوق عن الصادق عليه السلام عن أبيه في قوله عز وجل: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ قالا: مرض الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنك نذراً إن الله عافاهما، فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عز وجل، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام وقال الصَبيَّان: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق علي عليه السلام إلى جارٍ له من اليهود يقال له: شمعون. يعالج الصوف فقال هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصوع من شعير؟ قال: نعم، فأعطاه فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة عليها السلام فقبلت وأطاعت، ثم

بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي عليه السلام اللقمة من يده ثم قال:

فاطم بنت السيد الكريم
قد جاءنا الله بذا اليتيم

إلى آخر أبياته التي يحرضها على إطعام اليتيم.

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول:

فسوف أُعطيه ولا أُبالي
وأُوثر الله على عيالي
أمسوا جياعاً وهم أشبالي

إلى آخر الأبيات التي تظهر فيها الموافقة على إطعام اليتيم ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح، وأصبحوا صياماً، وعمدت فاطمة عليها السلام فغزلت الثلث الباقي من الصوف وطحنت الباقي وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً. وصلى علي المغرب مع النبي صلى الله عليه وآله، ثم أتى منزله، فقُرب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها علي عليه السلام وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا؟ فوضع علي عليه السلام من يده ثم قال:

فاطم يا بنت النبي أحمد
بنت نبي سيد مسود

إلى آخر الأبيات.

عمدت فغزلت ثلث الصوف، ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحد قرصاً، وصلى عليعليه السلام مع النبيصلى الله عليه وآله المغرب؟ ثم أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها عليعليه السلام وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع عليعليه السلام اللقمة من يده ثم قال:

فاطم ذات المجد واليقين
يا بنت خير الناس أجمعين

... إلى آخر الأبيات.

ومضمونها التعطف على المسكين ويطلبعليه السلام من فاطمة عليها السلام أن تعطي شيئاً للمسكين.

فأقبلت فاطمة تقول:

أمرك سمع يابن عم وطاعة
ما بي من لؤم ولا وضاعة

إلى آخر الأبيات التي تذكر فيها استعدادها لمساعدة المسكين الواقف على الباب ينتظر، وعمدت إلى ما كان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثم أخذت صاعاً من الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقرصة لكل واحد قرصاً، وصلى علي المغرب مع النبيصلى الله عليه وآله ثم أتى منزله فلما وُضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها عليعليه السلام وإذا

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ يقول: على شهوتهم للطعام وإيثارهم له ﴿مِسْكِينًا﴾ من مساكين المسلمين ﴿وَيَتِيمًا﴾ من يتامى المسلمين ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أسراء المشركين ويقولون إذا أطعموهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ قال: والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم أضمروه في أنفسهم، فأخبر الله بما في ضمائرهم، ويقولون: لا نريد جزاءً تكافئوننا به، ولا شكوراً تثنون علينا به، ولكن إنما أطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه، قال الله تعالى ذكره: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ في القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً﴾ يسكنونها ﴿وَحَرِيرًا﴾ يفترشونه ويلبسونه ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ والأريكة: السرير عليه الحجلة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

قال شيخنا المجلسي ره ـ بعد ذكر أقوال المفسرين والمحدثين: في هذه السورة أقوال: بعدما عرفت من إجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء عليهم السلام علمت أنه لا يريب (يشك) أريب ولا لبيب في أن مثل هذا الإيثار لا يتأتى إلا من قبل الأئمة الأخيار وأن نزول هذه السورة مع المائدة عليهم يدل على جلالتهم ورفعتهم ومكرمتهم لدى العزيز الجبار... الخ.

أقول: وأما كيف يمكن لهؤلاء أن يتجوعوا ثلاثة أيام بلياليها فليس ذلك بمستبعد، لأننا نسمع ونقرأُ في الصحف أن بعض الأفراد استمر صومهم تسعة أيام بدون أن يدخل شيء في جوفهم، وأما المرتاضون الذين يتجوعون بصورة مدهشة وينحصر أكلهم في كل يوم في لوزة واحدة ولا يموتون من الجوع بل يعيشون أعواماً وأعواماً، ويمكن أن نقول: إن العادة في التجوع وعدمه لها تأثير ودخل في الموضوع.

ثم أقبلت فاطمة وهي تقول:

لم يبق مما كان غير صاع

قد دبرت كفي مع الذراع

ثم تذكر استعدادها لمواساة الأسير.

وعمدوا إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين عليهما السلام نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما بصر بهم النبي صلى الله عليه وآله قال: يا أبا الحسن شدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم!؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟ فهبط جبرئيل فقال: يا محمد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

وقال الحسن بن مهران في حديثه: فوثب النبي صلى الله عليه وآله حتى دخل منزل فاطمة عليها السلام فرأى ما بهم فجمعهم ثم انكب عليهم فبكى وهو يقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرى وأنا غافل عنكم؟ فهبط عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ قال: هي عين من دار النبي صلى الله عليه وآله يفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاريتهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾

مفاخرة علي عليه السلام والعباس

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال: بينا شيبة بن أبي طلحة والعباس عم النبي يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام. فقال علي عليه السلام استحييت لكما فقد أوتيت على صغري ما لم تأتيا، فقالا: وما أوتيت يا علي؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله. فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به علي؟ فقال صلى الله عليه وآله: أدعوا لي علياً فدعي له، فقال: ما حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال: يا رسول الله صدمته (دفعته) بالحق، فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرضى. فنزل جبرئيل وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: أتل عليهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ فقال العباس: إنا قد رضينا - ثلاث مرات.

وما قاله بعض الجهال: إنه هل يجوز أن يبالغ الإنسان في الصدقة إلى هذا الحد ويجوّع نفسه وأهله حتى يشرف على الهلاك؟

فقد ضرب الرقم القياسي في التجاهل أو العناد، لأن هذا هو المواساة والله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي مع احتياجهم إلى الطعام يفضلون غيرهم على أنفسهم فلو كان هذا الإيثار قبيحاً لما مدحهم الله تعالى. وأيضاً: إن الله تعالى أنزل سورة على نبيه تقديراً لهذا الإيثار الذي لا نظير له في البشر، إلاَّ عند الأنبياء فما دونهم.

فما قيمة انتقاد المخلوق الجاهل لهذا العمل العظيم الذي لم يسجل ولا يسجل التاريخ شبيهاً ومثيلاً له في تاريخ الكرماء الأسخياء فضلاً عن غيرهم؟؟

وقال ابن عمر: ثلاث كنَّ لعلي لو أن لي واحدة منهم كانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاءُه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وروى الشيخ الطوسي (ره) عن الترمذي والثعلبي عن علي عليه السلام أنه قال: بي خفف الله عن هذه الأمة، لأن الله امتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلا من تصدق وكان معي دينار فتصدقت به، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب لامتناع الكل عن العمل بها.

وفي كتاب فرائد السمطين: أن علياً عليه السلام ناجى رسول الله عشر مرات بعشر كلمات قدمها عشر صدقات، فسأل في الأولى: ما الوفاءُ؟ قال: التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله. ثم قال: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله عز وجل. قال: وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قال: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. قال: وما عليَّ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله، قال: وكيف ادعوا الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين، قال: وما أسأل الله تعالى؟ قال: العافية. قال وماذا أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كل حلالاً وقل صدقاً قال: وما السرور؟ قال: الجنة. قال: وما الراحة؟ قال لقاءُ الله تعالى، فلما فرغ نسخ حكم الآية.

قال بعض الأعلام: وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحِكَم والخير الكثير التي لا يعطيها الله ولا يؤتيها إلا خاصة خلقه والصالحين من عبادة تجد أنها جديرة بأن يبذل بإزائها الدنيا وما فيها، وكيف لا وقد بذل أمير المؤمنين عليه السلام كل ما كان

آية النجوى

قد ذكرنا ـ فيما مضى ـ شيئاً من خصائص الإمام عليه السلام التي تفرد بها عن غيره وكان يفتخر بها، لأن الله تعالى أنزل في حقه وشأنه آية أو أكثر.

ومن جملة تلك الخصائص الفريدة والمزايا الحميدة ما رواه المفسرون، في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾.

فقد أورد الثعلبي والواحدي وغيرهما من علماء التفسير: أن الأغنياء أكثروا مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وغلبوا الفقراء على المجالس عنده حتى كره رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واستطالة جلوسهم وكثرة مناجاتهم، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ فأمر بالصدقة أمام المناجاة.

وأما أهل العسرة (الفقراء) فلم يجدوا، وأما الأغنياءُ فبخلوا، وخف ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وخف ذلك الزحام، وغلبوا على حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام، واشتد على أصحابه، فنزلت الآية التي بعدها راشقة لهم بسهام الملام، ناسخة بحكمها حيث أحجم من كان دأبه الإقدام.

وقال علي عليه السلام: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي آية المناجاة، فإنها لما نزلت كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى فنيت الدراهم، فنسخت (الآية) بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ الآية.

الليلة التاسعة

علي عليه السلام والعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فوق حمد الحامدين وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لا شك أن العلم فضيلة وكمال، ويعترف البشر بشرفه، ويفضّل العالم على الجاهل بالفطرة لا التقليد، وعلى هذا الأساس لم يسكت الإسلام عن فضيلة العلم والعالم فقد قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم.

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العلم وقيمته وكرامته في كثير من الآيات، ويثني على كل من أوتي من العلم نصيباً.

ومن أهم الأُسس للوظائف الراقية والمناصب السامية (كالحكم

يملك ـ وهو دينار واحد كما استفدنا من الروايات السابقة ـ ليأخذ هذه الكنوز الغالية من الحِكَم... إلخ.

وقد ذكرنا فيما مضى نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أنها نزلت في مبيت علي عليه السلام على فراش رسول الله، وقد ذكر ذلك المفسرون من الشيعة والسنة.

وقد ذكر المفسرون والمحدثون من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأن علي عليه السلام وأنه المقصود بها تفسيراً أو تأويلاً بأنه: الشهيد، والشاهد، والمشهود، والذكر والنور والهدى والصادق والمصدق والصديق والفضل والرحمة والنعمة، والذي عنده علم الكتاب، وقد ورد لكل اسم من هذه الأسماء حديث أو أكثر، يصرح بأن علياً عليه السلام هو المقصود بذلك الإسم ورعاية للاختصار اكتفينا بالإشارة فقط، ولنا في المستقبل مجال للتحدث عن الآيات القرآنية التي ترتبط بالإمام علي عليه السلام.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا * وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾.

إذا عرفتم ذلك فكيف نستطيع أن نعرف مقياس علوم الإمام ومستوى معارفه وثقافته الإلهية؟

وكيف نتمكن من الإحاطة بعلم باب مدينة علم الرسول ﷺ والتلميذ الأول للرسول الأعظم الذي فرَّغ رسول الله علومه في صدر الإمام، وعلَّمه في وجبة واحدة ألف باب من العلم يُفتح له من كل باب ألف باب؟.

وما أدري هل آسف على الإمام الذي ضاع قدره في ذلك العهد فلم يُفسح له المجال ليبث للمسلمين شيئاً من علومه الإلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف على المسلمين الذين حُرموا من ذلك المنهل العذب

والقضاء) هو العلم بالأحكم الشرعية وتعاليم آداب القضاء والفتوى، ودرجات الإيمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم.

ونحن لا نستطيع أن نعرف علم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومدى إيمانه بالله تعالى، لأن الرسول صلى الله عليه وآله قال ـ في حديث صحيح ـ: يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا.

ولا نستطيع أن نحدّد علم الإمام ونحيط به، لأنه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وعلم رسول الله من الله تعالى، وليس عن طريق الاكتساب والتحصيل بل بالإفاضة من عند الله تعالى، ونجد في القرآن الكريم طائفة كبيرةً من الآيات البينات التي تصرح بأن علوم الأنبياء من عند الله تعالى عن طريق الإفاضة والإلقاء في القلب، ومعلومٌ: أن هذا النوع من العلم لا يشوبه شيءٌ، ولا مجال للباطل إليه، بل هو الحق الصحيح الصدق المطابق للواقع، وإليكم بعض تلك الآيات:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾.

﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾.

حينما حكموا على علي عليه السلام بالاعتزال وسلبوه كل نشاط علمي، وضيقوا عليه المجال غاية التضييق خلال خمس وعشرين سنة ـ كما تقدم الكلام ـ.

وبعد أن وجد المجال وعادت إليه الإمكانيات واسترد ما سُلب منه، وإذا بالحروب الداخلية والاضطرابات تحط من نشاطه العلمي وتبلبل فكره وتشغل قلبه، وتسلب القرار والاطمئنان من ذلك المجتمع، فينقلب النشاط العلمي إلى طاقة حربية، وتنقلب المعاهد الثقافية إلى معارك دامية ومجازر مشجية وما هنالك من نتائج وخيمة.

بالرغم من هذا كله فقد استطاع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرفع أضواً مشعل للعلم في سماء الثقافة والمعرفة، فهذا كتاب نهج البلاغة وهو جزء. من أربعة وعشرين جزءاً من خطب الإمام وكلماته الحكمية ورسائله القيمة، وهذه الكمية هي التي حفظها التاريخ ولا تسأل عن الخطب والعلوم التي ضاعت ولم تلتقطها الأدمغة ولم تسجلها مسجلات التاريخ، فقد روي أن علياً عليه السلام خطب في الناس ـ يوماً ـ من بعد صلاة الصبح إلى قبيل الظهر، فكان الإمام يفيض على الخلائق العلوم بشتى أنواعها طيلة ست ساعات تقريباً.

والآن نذكر لكم ما تيسر من الأحاديث الواردة حول علوم الإمام ومدى سعة معلوماته الجمة: (في البحار) قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو ثُنِّيت لي وسادة لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله، ولولا آية في كتاب الله لأنبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة.

وهم بأمس الحاجة إلى العلم؟ فقد مضى خمس وعشرون سنة وعليٌ عليه السلام جليس بيته مسلوب الإمكانيات مكبوتاً عليه لا يستطيع تنوير العقول بعلومه وتزويد النفوس بمواهبه؟

قد نسمع أن بعض الغربيين يبدي أسفه على مكتبة الإسكندرية التي حُكم عليها بالإحراق، وما ضاعت هناك من علوم وكنوز وأسرار وفنون وصارت طعمة للحريق، فلو كانت تلك العلوم في متناول البشر اليوم وقبل اليوم لكانوا في أرقى درجات الحضارة وأوج العظمة يتصرفون في تلك الكنوز ويعيشون في أوسع فضاءٍ يستنشقون شتى العلوم ويتنعمون بتلك الثروة الفكرية التي كانت تساعدهم في التقدم بصورة مدهشة.

وسبب تأخر المسلمين خاصة والبشر عامة في خلال هذه القرون إنما هو من بركات ذلك العمل اللاإنساني!.

إن كان احتراق مكتبة تضم الكتب المتنوعة يوجب التأثر والتألم في نفوس هواة العلم وروّاد الفضيلة مع العلم أن الكتب كانت صامتة لا ينتفع بها الأُميّون والذين لا يحسنون لغة تلك الكتب، فإن تجميد شخصية قد تمثلت وتجمعت فيها دوائر المعارف بكافة أنواعها وجميع أقسامها يُؤسف له أكثر وأكثر، أليس من المؤسف أن تعيش أمة من الناس في الظلمات، وعندهم الضياءُ اللامع والسراج المنير الذي يضيء لهم الدروب والطرق وهم بأمس الحاجة إليه؟؟ وإذا بجماعة يحاولون إخفاء ذلك الضياء والحيلولة بينه وبين الإضاءة والإشراق، ويعجبهم أن يشاهدوا الناس محرومين عن الاستضاءة بأنوار ذلك القمر، وفعلاً وصلوا إلى ما أرادوا، وحكموا على المجتمع الإسلامي بالخيبة والحرمان من العلوم الإلهية وكنوز المعارف الربانية، وذلك

يا رب إن علياً قضى بقضائك. والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كان مدَّع علمه، ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحلبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكّيّها من مدنيّها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة.

قال ابن عباس: علي علم علماً علَّمه رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ علَّمه الله، فعلم النبي ـ صلوات الله عليه وآله ـ من علم الله، وعلم علي من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي عليه السلام، وما علمي وعلم أصحاب محمد ﷺ في علم عليٍّ إلا كقطرة في سبعة أبحر.

عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له: يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيء إذا سُئلت عنه! قال: فأبرز علي كفه وقال له: كم هذا؟ فقال علي عليه السلام: وأنا أسرع فيما لا يخفى علي.

قال الصادق عليه السلام لابن أبي ليلى: أتقضي بين الناس يا عبد الرحمن؟ قال: نعم يا ابن رسول الله، قال: بأي شيءٍ تقضي؟ قال: بكتاب الله. قال: فما لم تجد في كتاب الله؟ قال: من سنة رسول الله ﷺ وما لم أجده فيهما أخذته عن الصحابة بما اجتمعوا عليه، قال: فإذا اختلفوا فبقول من تأخذ منهم؟ قال: بقول من أردت وأخالف الباقين، قال أبو عبد الله عليه السلام: ما تقول يَوم القيامة إذا رسول الله ﷺ قال: أي رب إنَّ هذا بلغه عني قول مخالفه؟ قال: وأين خالفت قوله يا ابن رسول الله؟ قال: فبلغك أن رسول الله قال: أقضاكم علي عليه السلام؟ قال: نعم، قال: فإذا خالفت قوله ألم تخالف قول

وقال علي عليه السلام: لأنا أعلم بالتوراة من أهل التوراة وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل.

عن الأصبغ بن نباتة قال: لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ فقال المنافقون: والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن، ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال ويلهم! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وفصاله، من وصاله، وحروفه من معانيه، والله ما حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله إلا وأنا أعرف فيمن أنزل وفي أي يوم نزل وفي أي موضع نزل، ويلهم أما يقرأون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ والله عندي، ورثتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وورثها رسول الله صلى الله عليه وآله من إبراهيم وموسى، ويلهم! والله إني أنا الذي أنزل الله فيّ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ فإنّا كُنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبرنا بالوحي، فأعيه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟.

عن عبابة بن ربعي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، ألا تسألون مَن عنده علم المنايا والبلايا والأنساب؟.

عن الأصبغ بن نباتة قال: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بُرديه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبك بين أصابعه ووضعها أسفل سرته، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثُني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب ويقول:

علي عليه السلام والخطابة

ألا ترى إلى خطبه عليه السلام: مثل: التوحيد والشقشقية والهداية والملاحم واللؤلؤة والغراء والقاصعة والإفتخار والأشباح والدرة اليتيمة والأقاليم والوسيلة والطالوتية والقصبية والسلمانية والناطقة والدامغة والفاضحة، بل إلى نهج البلاغة عن الشريف الرضي، وكتاب خطب أمير المؤمنين عن إسماعيل بن مهران السكوني عن زيد بن وهب أيضاً، قال الرضي: كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها.

الجاحظ في كتاب الغرة: كتب علي عليه السلام إلى معاوية:

غرّك عزّك، فصار قصار ذلك ذُلك، فاحش فاحش فعلك فعلّك تهدا بهدا.

وقال عليه السلام: (من آمن أمن).

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة:

وأما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء وعن كلامه قيل: هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة. قال عبد الحميد بن يحيى: حفظت سبعين خطبة من

رسول الله ﷺ؟ فاصفرَّ وجه ابن أبي ليلى وسكت.

عن الأصبغ بن نباتة وجماعة أن أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار ـ وأشار إلى صدره ـ: كيف ملىء علماً لو وجدت له طالباً؟ سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم هذا لعاب رسول الله ﷺ هذا ما زقَّني رسول الله ﷺ زقّاً، فاسألوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة... الخ.

وفي نهج البلاغة: «فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيءٍ فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتُضلُّ مائة إلا نبأْتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً».

وعن سلمان أنه قال عليه السلام: عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب، ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، ودولة الدول فسلوني عما يكون إلى يوم القيامة، وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يُعبد الله.

الأجفان على مآقيها، وتبلغت بما اكتسته من المعاش في ظُلَم لياليها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان، غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع العروق بيّنة أعلاماً، لها جناحان لما يرقّا فينشقّا، ولم يغلظا فيثقلا. تطير وولدها لاصق بها، لاجيء إليها، يقع إذا وقعت، ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحمله للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه. فسبحان البارىء لكل شيءٍ على غير مثال خلا من غيره.

من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس

إبتداعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات، وساكن وذي حركات. فأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به.. ومسلمة له. ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته وما ذرأ من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد الأرض وخروق فجاجها، ورواسي أعلامها. من ذات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة، مصرّفة في زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها في مخارق الجوّ المنفسح، والفضاء المنفرج. كوَّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة، وركَّبها في حقاق مفاصل محتجبة. ومنع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في السماء خفوفاً، وجعله يدف دفيفاً. ونسّقها على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته. فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه. ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به ومن أعجبها خلقاً: الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضّد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرج

خُطَب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال نباتة: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلاَّ سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب.

ولما قال محفن بن أبي محفن ـ لمعاوية ـ: (جئتك من عند أعيى الناس) قال له: ويحك! كيف يكون أعيى الناس؟! فوالله ما سنَّ الفصاحة لقريش غيره.

ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنه لا يجاري في الفصاحة، ولا يباري في البلاغة، وحسبك أنه لم يدوَّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ولا نصف العُشر مما دوِّن له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من كتبه.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش

منها: ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياءُ الباسط لكل شيءٍ ويبسطها الظلام القابض لكل حي. وكيف عشيت أعينها، عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها، وتتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها، وردها بتلألؤ ضيائها عن المضيّ في سبحات إشراقها، وأكنَّها في مكامنها عن الذهاب في بُلج ائتلاقها، فهي مسدلة الجفون بالنهار على حِداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في إلتماس أرزاقها. فلا يرد أبصارها إسداق ظلمته، ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته، فإذا ألقت الشمس قناعها، وبدت أوضاح نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها، أطبقت

فينحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه. لا يخالف سالف ألوانه.. ولا يقع لون في غير مكانه. وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية، وتارة خضرة زبرجدية، وأحياناً صفرة عسجدية فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين وأقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه. فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوناً، ومؤلفاً ملوناً. وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته. وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقها من خلق الحيتان والفِيَلة. ووأى على نفسه ألاَّ يضطرب شبح مما أولج فيه الروح إلا وجعل الحِمام موعده والفناء غايته.

ومنها خطبتان له (صلوات الله عليه) إحداهما بلا ألف والأخرى بلا نقطة (الأولى) في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه قدس سره بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أنه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألف أكثر دخولاً في الكلام فارتجل عليه السلام الخطبة المونقة وهي: حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مقرٍ بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصّل من خطيئته، متفرد بتوحده، مؤمّل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدتُ له شهود مخلص موقن، وفرّدته تفريد مؤمن متيقن، ووحّدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه، جلَّ عن مشير ووزير، وعن عون ومعين ونصير ونظير علم فستر، وبطن فخبر، وملك فقهر،

قصبه، وذَنَبٍ أطال مسحبه، إذا درج إلى الأنثى نشره من طيه، وسما به مُطلا على رأسه كأنه قلع دارى عنجه نُوتيُّه. يختال بألوانه، ويميس بزيفانه، يفضي كإفضاء الديكة، ويؤر بملاقحةِ أرّ الفحول المغتلمة للضّراب. أحيلك من ذلك على معاينة، لا كمن يحيل على ضعيفٍ إسناده. ولو كان كزعم من يزعم أنه يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وأن أنثاه تطعم ذلك، ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب، تخال قصبه مداري من فضة وما أنبت عليها من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت جني جني من زهرة كل ربيع. وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشيِّ الحلل أو كمونق عصب اليمن، وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل، يمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً يكاد بصوتٍ يُبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراءُ موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال وكأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه يخيل لكثرة مائة وشدة بريقة أن الخضرة الناضرة ممتزجة به. ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان أبيض يقق. فهو ببياضه في سواد ما هنالك يتألق. وقلّ صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبثوثة لم تربّها أمطار ربيع ولا شموس قيظ. وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه، فيسقط تترى، ويثبت تباعاً. . .

كفنه، وشُدَّ منه ذقنه، وقُمّص وعُمّم، ووُدّع وسُلّم، وحُمّل فوق سرير، وصُلي عليه بتكبير، ونُقل من دورٍ مزخرفة، وقصور مشيّدة، وحُجَرٍ منجّدة، وجُعل في ضريح ملحود وضيق مرصود، بملبن منضود، مسقّفٍ بجلمود، وهيل عليه حفره، وحثي عليه قدره وتحقق حضره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه، وصفيه ونديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعى بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره، يسحق بِرُمّته لحمه، وينشق دمه ويرم عظمه، حتى يوم حشره، فَنُشِر من قبره حين ينفخ في صور، ويدعى بحشر ونشور فثم بعثرت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيء بكل نبي وصديق وشهيد، وتوحد للفصل قدير، بعبده خبير بصير، فكم من زفرة تضنيه، وحسرة تنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل، بين يدي ملك عظيم وبكل صغير وكبير عليم، فحينئذ يُلجمه عَرَقه، ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة وحجته غير مقبولة، زاول جريدته، ونشر صحيفته، نظر في سوء عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، فَسُلسِلَ جيده، وغلَّت يده، وسيق فَسُحب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة فظل يُعذَّب في جحيم، ويسقى شربة من حميم، تشوي وجهه وتسلخ جلده، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خَزَنَةُ جهنم، ويستصرخ فيلبث حقبة يندم، نعوذ برب قدير، من شر كل مصير، ونسأله عفو من رضي عنه، ومغفرة من قِبَله، فهو ولي مسألتي، ومنجح طلبتي، فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنته بعزته وخلِّد في قصور مشيدة، وملك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة قدس، وتقلب في نعيم، وسقي من تسنيم، وشرب من عين سلسبيل، ومزج

وعُصي فغفر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول ليس كمثله شيءٌ وهو بعد كل شيءٍ، رب معتزز بعزته، متمكن بقوته، متقدس بعلوّه متكبر بسموّه ليس يدركه بصر، ولم يحط به نظر، قوي منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه، وضل عن نعته من يعرفه، قَرُبَ فَبَعُدَ، وبَعُد فَقَرُب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطفٍ خفي، وبطش قوي، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدت ببعث محمد رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله، بعثه في خير عصر، وحين فترة، وكفر، رحمة لعبيده ومنة لمزيده، ختم به نبوته، وشيّد به حجته، فوعظ، ونصح وبلغ وكدح، رؤوف بكل مؤمن رحيم، رضي ولي زكي، رحمة وتسليم وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم قريب مجيب، وصّيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم وذكّركم بسنة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تذري دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم يبليكم ويذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخفّ وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملّقكم مسألة ذل وخضوع، وشكر وخضوع، بتوبة ونزوع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشيبته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم وتسقم، يلمُّه طبيبه ويعرض عنه حبيبه، ويقطع عمره ويتغير عقله، ثم قيل هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جد في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص بصره وطمح نظره، ورشح جبينه وعطف عرينه، وسكن حنينه، وحزنته نفسه، وبكته عرسه، وحفر رمسه، ويُتِّم منه وَلده، وتفرق منه عدده، وقُسِّم جمعه، وذهب بصره وسمعه. ومُدّدَ وجُرّد وعُرّي وغُسّل، ونُشّف وسُجّي، وبُسط له وهُيءَ، ونُشر عليه

أمر الله وعُوه، وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء وأردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع، ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً، وأحلاهم مورداً، وها هو أمّكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرمه وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمه، وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملك ما أراد وماسها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم، أسأل الله حكم أحماد وصاله، ودوام إسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله والإعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد.

«الثانية»: في الناقب روى الكليني عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إرتجل خطبة أُخرى من غير النقط التي أولها: الحمد لله أهل الحمد ومأواه وأوكد الحمد وأحلاه وأسرع الحمد وأسراه وأطهر الحمد وأسماه وأكرم الحمد وأولاه ـ إلى آخرها.

ومنهم الشعراءُ وهو عليه السلام أشعرهم وذكر البلاذري في أنساب الأشراف أن علياً أشعر الصحابة وأفصحهم وأكتبهم.

في تاريخ البلاذري: كان أبو بكر يقول الشعر، وعمر يقول الشعر وعثمان يقول الشعر، وكان علي عليه السلام أشعر الثلاثة.

ومنهم الوعاظ وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ماله نحو قوله عليه السلام: «من زرع العدوان حصد الخسران، من ذكر المنية نسي الأمنية، من قعد به العقل قام به الجهل، يا أهل الغرور ما ألهجكم بدارٍ خيرها زهيد، وشرها عتيد، ونعيمها مسلوب، وعزيزها منكوب، وسمالمها محروب، ومالكها مملوك وتراثها متروك؟».

له بزنجبيل، متخم بمسك وعبير، مستديم للملك، مستشعر للسرور، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه، وليس ينزف، هذه منزلة من خشي ربه، وحذر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مشيئته، وسوّلت له نفسه معصيته، فهو قول فصل، وحكم عدل، وخير قصص قُصّ، ووعظ نص، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس مبين، على قلب نبي مهتد رشيد، صلّت عليه رسل سفرة مكرمون برررة، عذت برب عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رجيم، فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم ويستغفر كل مربوب منكم ولي ولكم وحسبي ربي وحده.

ثم ارتجل الإمام عليه السلام خطبة أُخرى خالية من النقط وهي على نسختين «الأولى»:

الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود مُصور كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطع المهاد وموطد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمّر الأمرك ومهلكها، ومكوّر الدهور ومكررها، ومورد الأمور ومصدرها، عم سامحه وكمل ركامه، وهمل، وطاوع السؤال والأمل، وأوسع الرمل وأرمل، أحمده حمداً ممدوداً، وأُوحِّده كما وحد الأواه، وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدله وسوّاه، أرسل محمداً عَلَماً للإسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعاع ومعطل أحكام وَدٍّ وسُواع، أعلم وعلّم، وحكم وأحكم، وأصل الأصول، ومهد وأكد الموعود، وأوعد أوصل الله له الإكرام، وأودع روحه السلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما لمع رائل وملع دال، وطلع هلال، وسُمِع إهلال، إعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام ودعوه، واسمعوا

المخوف من الأقدار ما كان البارحة صاحب الميزان؟ وفي أي برج كان صاحب السرطان؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات؟ وكم بين السراري والزراري؟ قال: سأنظر في الأسطرلاب فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: ويلك يا دهقان أنت مسيّر الثابتات؟ أم كيف تقضي على الجاريات؟ وأين الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ وما دور السراري المحركات؟ وكم قدر شعاع المنيرات؟ وكم التحصيل بالغدوات؟ فقال: لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين، فقال له: يا دهقان هل نتج علمك أن انتقل بيت ملك الصين، واحترقت دور بالزنج، وخمد بيت نار فارس وانهدمت منارة الهند، وغرقت سرانديب، وانقض حصن الأندلس، ونتج بترك الروم بالرومية؟؟ فخر الدهقان ساجداً فلما أفاق قال أمير المؤمنين عليه السلام ألم أروك من عين التوفيق؟ فقال: بلى، فقال: أنا وصاحبي لا شرقيون ولا غربيون، نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أما قولك «انقدح من برجك النيران وظهر منه السرطان» فكان الواجب أن تحكم به لي لا علي، أما نوره وضياؤه فعندي، وأما حريقه ولهبه فذهب عني وهذا مسألة عقيمة إحسبها إن كنت حاسباً. فقال الدهقان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك علي ولي الله.

هذا وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام آراءٌ ونظريات في التوحيد حول الإلهيات، كالصفات الثبوتية والسلبية، وما يتعلق بذلك وله كلام وبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية كالفلك والنجوم والسحاب والرعد والبرق وتكوّن الأمطار وما شابه من المواضيع المتعلقة بالعالم الأعلى.

وله تحليل جليل حول الإنسان نطفة وجنيناً ورضيعاً ووليداً

ومنهم الفلاسفة وهوعليه السلام أرجحهم، قالعليه السلام: أنا النقطة أنا الخط، أنا الخط أنا النقطة، أنا النقطة والخط، فقال جماعة: إن القدرة هي الأصل، والجسم حجابه، والصورة حجاب الجسم، لأن النقطة هي الأصل، والخط حجابه ومقامه، والحجاب غير الجسد الناسوتي.

وسُئلعليه السلام عن العالم العلوي فقال: صُور عارية من المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت، وطالعت فتلألأت، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة. إن زكاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد.

قال ابن سينا: لم يكن شجاعاً فيلسوفاً قط إلا عليعليه السلام.

قال الشريف الرضي: من سمع كلامهعليه السلام لا يشك أنه كلام من قبع في كسر بيت أو انقطع في سفح جبل، لا يسمع إلا حسه، ولا يرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلتاً سيفه، فيقطُّ الرقاب ويجدل الأبطال، ويعود به ينظف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بينها بين الأضداد.

ومنهم المنجّمون وهوعليه السلام أكيسهم، قال سعيد بن جبير استقبل أمير المؤمنينعليه السلام دهقان فقال له: أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس فإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاءُ، ويومك هذا يوم صعب قد اقترن كوكبان، وانفكأ فيه الميزان، وانقدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: أيها الدهقان، المنبىءُ بالآثار،

حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمدﷺ، وجعفر قرأ على أبيه، وينتهي الأمر إلى عليعليه السلام.

وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالبعليه السلام.

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان ذلك لك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

أما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وابن عباس، وكلامها أخذ عن عليعليه السلام.

أما ابن عباس فظاهر، وأمر عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لولا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر. فقد عرف بهذا الوجه انتهاءُ الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قولهﷺ أقضاكم علي والقضاءُ هو الفقه، فهو إذن أفقههم.

وروى الكل أيضاً أنهﷺ قال له ـ وقد بعثه إلى اليمن قاضياً ـ: اللهم اهد قلبه، وثبّت لسانه. قال: فما شككت بعدها في قضاءٍ بين اثنين.

وهوعليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى به في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية: صار ثمنها تسعاً. وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستُحسن

وشاباً وكهلاً وما يدور في هذا الفلك من علم النفس والفلسفة البشرية، وغير ذلك.

يظهر كل هذا من مطاوي كلماته وخطبه الموجودة في نهج البلاغة وغيره من كتب الحديث.

وتتميماً لهذا البحث نذكر كلام ابن الحديد في هذا الموضوع، قال: وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام إقتُبِس، وعنه نُقل، وإليه انتهى ومنه إبتدأ.

فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلَّم الناس هذا الفن ـ تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأما الأشعرية فإنهم يضمون إلى أبي الحسن بن أبي بشير الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلِّمهم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم: علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهوَ عيال عليه، ومستفيد من فقهه.

أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة.

وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه إلى أبي

الليلة العاشرة

علي عليه السلام والفضائل النفسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمائه وصلى الله على محمد سيد أنبيائه وآله سادات أوليائه.

قال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

قال علماءُ النفس والفلاسفة: إن أعمال الإنسان وأفعاله التي تظهر إلى الوجود إنما هي آثار نفسيته التي تطبَّع عليها، وانطباعاته التي خامرت روحه عن الوراثة والتربية، فالفضائل بكافة أنواعها وأقسامها، والرذائل بجميع أشكالها وأجناسها ما هي إلاَّ ولائد التربية أو رواسب الوراثة.

وقد ذكرنا في بعض الليالي الماضية بعض جوانب التربية ونتائجها، ولو أردنا الخوض في هذا البحث فاتنا الكلام الأصلي المقصود بيانه في هذه الليلة.

منه بعد طول النظر، هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً؟

ومن العلوم: علم تفسير القرآن، وعنه أخذ، ومنه فرغ، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه، وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخرّيجه، وقيل له: أي علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط...

ومن العلوم: علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله ومن جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياءٍ: اسم وفعل وحرف.

ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

هي الساعات التي يشتغلون فيها بمناجاة ربهم والخضوع والخشوع أمام عظمة الله تعالى، فلا يملون من العبادة كما لا يملّ الحبيب من مكالمة حبيبه.

وجملة أخرى لا بأس بالإشارة إليها وهي: أن الإنسان حينما يحس بالنقص في نفسه من حيث العلم أو الفن أو الفضيلة أو القوة أو الجمال أو ما شابه ذلك فإنه يحاول إخفاء ذلك النقص وجبران ذلك العيب عن طريق التزيين والتجميل في الملبس والمسكن وسائر لوازم الحياة ومظاهر الترف، كل ذلك إرضاءً لوجدانه وضميره الذي يؤنّبه بالنقص، أما أولياءُ الله فإنهم يحسون بالكمال في أنفسهم، فهم في غنى عن ستر النقص عن طريق التجميل والتفنن في الملبس والمأكل والمسكن وما جرى مجرى ذلك لأنه لا نقص فيهم.

وعلى هذا الأساس كانوا يختارون لأنفسهم البساطة في المعيشة، ويتجلى الزهد في جميع مظاهر حياتهم بدون أي تكلف وتعسف، فلا يشتاقون إلى اختلاف الأطعمة ولا تميل نفوسهم إلى زخارف الحياة وزبرجها، فإن الإحساس بالكمال يحول بينهم وبين الشعور بالحاجة إلى ما تتهافت عليه نفوس الآخرين من حطام الدنيا.

فإذا قرأنا أو سمعنا عن نبي أو إمام شيئاً من الزهد وعدم الإقبال على مباهج الحياة فلعله معلول هذه العلة التي تقدمت.

وسنذكر ما تيسر من الأخبار والآحاديث التي اشتهرت بين أعلام الحديث وحفاظه حول الفضائل النفسية التي أنعم الله بها على أمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج:

حديثنا ـ الليلة ـ حول الفضائل النفسية التي امتاز بها الإمام عليه السلام وإنما وصفنا الفضائل بالنفسية لأن هناك فضائل لا ترتبط بالنفس كالنسب الشريف والجمال والقوة فإنها أمور لا إختيارية، والفضائل النفسية تظهر إلى الوجود بالطوع والاختيار كالجود والعفو والزهد والعبادة وما شاكل ذلك فإنها منبعثة من نفس طاهرة شريفة فاضلة وإلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي قل يا محمد كل واحدٍ من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها أو على طريقته وسنته التي اعتادها، وقال الشاعر:

مَلَكنا فكان العفو منا سجيةً
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
فكل إناءٍ بالذي فيه ينضح

وقد مرَّ عليكم الشيءُ الكثير ـ اللقليل مما يتعلق بهذا الأمام العظيم من عوامل التشريف والتأثير في نفسيته الطاهرة عليه السلام من حيث الميلاد والمواهب والمزايا والخصائص والتربية، فأنتجت تلك العواملُ الإلهية والنبوية أحسن إنتاج، وجعلت نفس علي مركزاً لانطلاق كل فضيلة وخير فلا عجب إذا كان الإمام عليه السلام صوتاً للعدالة الإسلامية ورمزاً للفتوة والمروة ومثالاً للعطف والحنان الأبوي.

وأصحاب النفوس الشريفة تختلف هواياتهم عن غيرهم، فهم دائماً وأبداً يلبّون نداء ضميرهم الإنساني، ويستلذون بإسعاف الفقير والمسكين. ويبتهجون بإشباع البطون الجائعة وإكساء الأجساد العارية وإنقاذ البؤساء من براثن الفاقة، وحيث أنهم أُشربوا معرفة الله تعالى وخالط حُبُّ الله لحومهم ودماءهم فإن أسعد أوقاتهم وألذّها عندهم

علي عليه السلام واليقين

في البحار ـ ج 9 ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : كان لعلي غلام اسمه قنبر وكان يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فإذا خرج علي خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال يا قنبر: مالك؟ جئت لأمشي خلفك فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك. فقال ويحك! أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض قال: بل من أهل الأرض قال: إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا أن يأذن الله عز وجل من السماء، فارجع فرجع.

وقيل له عليه السلام يوم صفين إحترس يا أمير المؤمنين فإنا نخشى أن يقتلك هذا اللعين. فقال عليه السلام: كفى بالأجل حارساً، ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر، أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوءٌ، فإذا حان أجله خلُّوا بينه وبين ما يصيبه، فكذلك أنا إذا حان أجلي إنبعث أشقاها فخضب هذه بهذه ـ وأشار إلى لحيته وهامته ـ عهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب.

وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل؟ ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريف عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا له مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً، حتى حضروا (منعوا) أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلما سُتِر انتشر عرفه وكلما كُتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول في رجل تُعزى (تنسب) إليه كل فضيلة، وتنتمي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها وأبو عذرها وسابق مضمارها، ومجلّي حلبتها.

وكل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى... وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسية والدينية وجدته ابن جلاّها، وطلاع ثناياها.

علي عليه السلام والتعطف

(في البحار ج ـ 9) عن الإمام الباقر عليه السلام: رجع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قاتمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحلف ليضربني. فقال: يا أمة الله حتى يبرد النهار ثم اذهب معك إنشاء الله. فقالت: يشتد غضبه وحرده عليّ. فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلكِ؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم. فخرج شاب، فقال علي: يا عبد الله إتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك والله لأحرقنها لكلامك. فقال أمير المؤمنين عليه السلام آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق يقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين فسقط الرجل في يديه وقال: يا أمير المؤمنين: أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني. فأغمد سيفه فقال: يا أمة الله أُدخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه.

قال أبو الطفيل: رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه: لوددت أني كنت يتيماً.

علي عليه السلام والحفظ

(في البحار ج ـ 9) عن سليم بن قيس قال: سمعت علياً عليه السلام يقول ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلَّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله عز وجل أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله عز وجل ولا علماً أملاه علي فكتبته، وما ترك شيئاً علَّمه الله عز وجل من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي وما كان وما يكون من طاعة أو معصية إلا علّمنيه وحفظته، ولم أنس منه حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله تبارك وتعالى بأن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً، ولم أنس من ذلك شيئاً ولم يفتني من ذلك شيءٌ لم أكتبه جهلاً وقد أخبرني أن ربي عز وجل قد استجاب لي فيك... إلى آخره.

علي عليه السلام والغنى

(في الكافي) عن عبد الأعلى قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق)عليه السلام، إن الناس يروون أن لك مالاً كثيراً. فقال: ما يسوؤني ذاك أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مرَّ ذات يوم على ناس شتى من قريش وعليه قميص مخرق، فقالوا: أصبح علي لا مال له، فسمعها أمير المؤمنين، فأمر الذي يلي صدقته أن يجمع ثمره ولا يبعث إلى إنسان شيئاً، وأن يوفره، ثم قال بِعه الأول فالأول، واجعلها دراهم ثم اجعلها حيث تجعل التمر فاكسبه معه حيث ترى، وقال للذي يقوم عليه: إذا دعوت بالتمر فاصعد وانظر المال فاضربه برجلك كأنك لا تعمد الدراهم حتى تنثرها. ثم بعث إلى رجل منهم يدعوه، ثم دعى بالتمر فلما صعد ينزل التمر ضرب برجله فانتثرت الدراهم، فقالوا: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: هذا مال من لا مال له، ثم أمر بذلك المال فقال انظروا أهل كل بيت كنت أبعث إليهم فانظروا ماله وابعثوا إليه.

وذكر ابن أبي الحديد: أن غلة أرضه في ينبع كانت في السنة أربعين ألف دينار فكان يتصدق بها في سبيل الله.

علي عليه السلام والحق

قال الله الحكيم في كتابه الكريم: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾.

سئل أبو ذر عن اختلاف الناس فقال: عليك بكتاب الله والشيخ علي بن أبي طالب عليه السلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق معه وعلى لسانه، يدور حيث ما دار علي».

وسلّم محمد بن أبي بكر يوم الجمل على عائشة فلم تكلمه فقال: اسألك بالله الذي لا إله إلاّ هو ألا سمعتك تقولين: ألزم علي بن أبي طالب فإني سمعت رسول الله يقول: (الحق مع علي وعلي مع الحق لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض)؟ قالت: بلى قد سمعت ذلك منه.

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ويل لمن جهل معرفتي ولم يعرف حقي، ألا إن حقي هو حق الله، ألا إن حق الله هو حقي.

علي عليه السلام والحكمة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها).

قد ذكر المفسرون للحكمة معانٍ متعددة وقد فاز الإمام بالحكمة بجميع معانيها وبكافة نواحيها فقد ذكر الطبرسي في تفسير الآية وجوهاً:

1 ـ علم القرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره حلاله وحرامه.

2 ـ الإصابة في القول والعقل.

3 ـ علم الدين.

4 ـ العلم الذي تعظم منفعته وتجل فائدته.

5 ـ القرآن والفقه.

6 ـ ما أتى الله أنبياءه وأممهم في كتابه وآياته ودلالاته التي يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه.

(عن أمالي الطوسي): قال جابر بن عبد الله الأنصاري: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: هذا أمير

علي عليه السلام والعفو

بعث أمير المؤمنين إلى لبيد بن عطارد التميمي في كلام بلغه، فَمُرَّ به إلى أمير المؤمنين في بني أسد، فقالم إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأقلته، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به وأمر به أن يُضرب فقال له نعيم: إن المقام معك لَذُل، وإن فراقك لكفر فلما سمع ذلك منه قال: قد عفونا عنك إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ أما قولك: إن المقام معك لذل فسيئة اكتسبتها، وأما قولك: إن فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها، فهذه بذه.

علي عليه السلام والزهد

قال عمر بن عبد العزيز: ما علمنا أحداً كان في هذه الأمة أزهد من علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وآله.

قال: لقد رقعتُ مِدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها (رُقَعها خ ل). وفي البحار عن السيد ابن طاووس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

تزوجتُ فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش، وصدقتي اليوم لو قسمت على بني هاشم لَوَسِعتهم. وقال فيه أنه عليه السلام: وقف أمواله وكانت غلتها أربعين ألف دينار وباع سيفه وقال: من يشتري سيفي؟ ولو كان عندي عشاءٌ ما بعته! وقال مرةً: من يشتري سيفي الفلاني، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته!

قال: وكان يفعل هذا وغلّته أربعون ألف دينار من صدقته.

وقال الإمام الباقر عليه السلام في زهد علي عليه السلام أنه ولي (أيام خلافته) خمس سنين، وما وضع آجرةً ولا لبنةً على لبنة ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاء ولا حمراء.

عن الزمخشري: إن علياً عليه السلام اشترى قميصاً، فقطع ما فضل عن أصابعه ثم فقال للرجل: حصه (أي خط كفافه).

البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره مخذول من خذله. ثم رفع صوته: أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب.

وذكر البغوي في الصحاح: أنا دار الحكمة وعلي بابها.

(في حلية الأولياء): سُئل النبيﷺ عن علي بن أبي طالب فقال: قُسمتِ الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليعليه السلام تسعة أجزاء والناس جزءٌ واحد.

وذكر الغزالي عن النبيﷺ أنه قال: أنا ميزان الحكمة وعلي لسانها.

عنه، فوقف على غلام، فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فقال: يا قنبر خذ الذي بثلاثة فقال: أنت أولى به، تصعد المنبر، وتخطب الناس فقال: وأنت شاب ولك شَرَهُ الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أتفضل عليك! سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون. فلما لبس علي القميص مدَّ كُمَّ القميص فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلم أكفه (أي أخيطه)، قال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك، فجاء أبو الغلام أي (بائع الثوب) وقال: إن ابني لم يعرفك وهذا درهمان ربحهما، فقال: ما كنت لأفعل، قد ماكست وماكسني، واتفقنا على رضى.

روى ابن عبد البر المالكي في الاستيعاب بسنده وغيره أن معاوية قال لضرار بن ضمرة: صف لي علياً، قال: إعفني. قال: لَتَصِفَنَّه. قال: أما إذا كان لا بدَّ من وصفه، فإنه: كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس (ويستأنس خ ل) بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة (العبرة خ ل) طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، (من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن خ ل) وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، (وينبئنا إذا استنبأناه خ ل) ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبةً له، يعظّم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي

عن الأصبغ بن نباتة قال عليعليه السلام لأهل البصرة: دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلتي وراحلتي ها هي، فإن أنا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فإنني من الخائنين.

وفي رواية: يا أهل البصرة ما تنقمون مني إن هذا لمن غزل أهلي؟ وأشار إلى قميصه.

وترصد غداءه عمرو بن حريث، فأتت فِضة بِجُرابٍ مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيراً خشناً، فقالت عمرو: يا فضة لو نخلت هذا الدقيق وطيَّبْتيه قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه، ثم إن أمير المؤمنينعليه السلام فتَّه في قصعة وصب عليه الماء ثم ذر عليه الملح وحسر عن ذراعه، فلما فرغ قالعليه السلام: يا عمرو لقد حانت هذه ـ ومد يده إلى محاسنه ـ وخسرت هذه أن أُدخلها النار من أجل الطعام، وهذه يجزيني.

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك، فقالعليه السلام:

عـلِّـل الـنـفـس بـالـقـنـوع وإلا
طـلـبـت مـنـك فـوق مـا يـكـفـيـهـا

ونظر عليعليه السلام إلى فقير انخرق كُمُّ ثوبه فخرقعليه السلام كُمَّ قميصه وألقاه إليه.

وقال الإمام الباقرعليه السلام: إن علياً أتى البزازين فقال لرجل: بِعني ثوبين. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عِندي حاجتك فلما عرفه مضى

عن ذلك فببعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات.

بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غُرّي غيري، أبي تعرضتِ؟ أم إليَّ تشوقتِ؟ هيهات! قد بنتك (باينتك خ ل) ثلاثة، لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك كبير (حقير خ ل) وعيشك حقير، آه! من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذُبح وَلدها بِحِجرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا تسكن حزنها. وفي المناقب: ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية: أما إنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليَّ هذا الثناء. فقال بعض من حضر: الصاحب على قدر صاحبه.

قال ابن أبي الحديد:

(وأما الزهد في الدنيا: فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال، وإليه تُشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال عبد الله بن أبي رافع: دخلت إليه يوم عيد، فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدّم فأكل فقلت: يا أمير المؤمنين فكيف تختمه؟ قال: خفت هذين الولدين (الحسنين) أن يلتّاه بسمن أو زيت!!

وكان ثوبه مرفوعاً بجلد تارة وليف أُخرى، ونعلاه من ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كُمَّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يُخطه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتى يبقى سدي لا لحمة له!!

وكان يأتدم إذا ائتدم (أي يجعل إداماً) بخلٍّ أو بملح، فإن ترقى

فقال: يا أُم سلمة: إن طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله، وإن بالباب لرجُلاً ليس بنزق ولا خرق، وما كان ليدخل منزلاً حتى لا يسمع حساً، وهو يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فقلت: ففتحت الباب، فأخذ بعضادتي الباب ثم جئت حتى دخلت الخدر، فلما أن لم يسمع وطء قدمي دخل ثم سلم على رسول الله ثم قال: يا أم سلمة ـ وأنا من وراء الخدرعليه السلام أتعرفين هذا؟ قلت: نعم هذا علي بن أبي طالب قال: هو أخي، سجيته سجيتي ولحمه من لحمي، ودمه من دمي... إلخ.

علي عليه السلام والعفة

في التاسع من البحار نقلاً عن كتاب مناقب ابن شهر آشوب وكتاب الاحتجاج وغيرهما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: . . . وسافرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ليس له خادم غيري، وكان له لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام بيني وبين عائشة ليس علينا لحاف غيره، فإذا قام إلى الصلاة الليل يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة حتى يمسّ اللحاف الفراش الذي تحتنا. . . الخ.

هذا الحديث كما تره يدل على شدة ثقة النبي بعلي، وكثرة اختصاصه به واطمئنانه منه، وكثيراً ما تحدث أمثال هذه القضايا في العوائل المحافظة على الحجاب والغيرة نظراً لنزاهة الأفراد وطهارة القلوب فكيف بالمعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

(في البحار) عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت زينب بنت جحش حتى أتى بيت أُم سلمة، وجاء داق ودق الباب، فقال: يا أم سلمة قومي فافتحي له. قالت: فقلت: ومن هذا يا رسول الله الذي من خطره أن أفتح له الباب؟ وأتلقاه بمعاصمي؟ وقد نزلت فيَّ بالأمس آيات من كتاب الله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾.

المؤمنين وأخذ الإبريق: ليصب على يد الرجل، فتمرغ الرجل في التراب، قال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟ قال: أقعد واغسل، فإن الله عز وجل يراك، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا ينفصل عنك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها. فقعد الرجل فقال له علي: أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته ونحلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن تدنيني لما شرفك به من خدمتي لك لما غسلت مطمئناً، كما كنت تغسل لو كان الصابّ عليك قنبراً. ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بُني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوّى بين ابن وأبيه، إذا جمعهما مكان، ولكن قد صبّ الأب على الأب فليصبّ الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الإبن.

ثم قال الإمام الحسن بن علي العسكري: فمن ابتع علياً على ذلك فهو الشيعي حقاً.

عن الإمام الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب ويستسقي ويكنس، وكانت فاطمة (سلام الله عليها) تطحن وتعجن وتخبز.

وإن علياً اشترى تمراً بالكوفة فحمله في طرف ردائه فتبادر الناس إلى حمله، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نحمله، فقال عليه السلام: ربُّ العيال أحق بحمله.

وكان علي عليه السلام يحمل التمر والمالح (الملح) بيده ويقول:

علي عليه السلام والتواضع

قال سعد بن معاذ لعلي عليه السلام، ـ وكان نازلاً عليه ـ: ما منعك أن تخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته؟ فقال عليه السلام أنا اجترئ أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لو كانت أمة ما اجترأت عليه.

فحكى سعد مقالته لرسول الله صلى الله عليه وآله وقال له رسول الله: قل له: يفعل. فإني سأفعل.

قال: فبكى عليٌّ حيث قال له سعد، ثم قال عليه السلام: لقد سعدتُ إذ أن جمع الله لي صهره مع قرابته. وشرف أبي طالب ما قد علمه الناس هو ابن عم رسول الله لأبيه وأمه.

(في البحار): بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أنه قال: أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاءً لها أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومنهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً.

ولقد ورد على أمير المؤمنين أخوان له مؤمنان: (أب وابن)، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس، وجلس بين أيديهما: ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لليبس، وجاء ليصب على يد الرجل فوثب أمير

علي عليه السلام والحلم

(في البحار) مرَّت امرأة جميلة فرمقها القوم بأقصارهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أبصار هذه الفحول طوامح، وإن ذلك سبب هناتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلمس أو فليمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة. فقال الرجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!! فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رُويداً إنّما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌ عن ذنبٍ.

قال قنبر: دخلت مع أمير المؤمنين على عثمان فأحب الخلوة فأومى إليه (إلي) بالتنحي، فتنحيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبه وهو مطرق برأسه، وأقبل إليه وقال عثمان: ما لك ولا تقول؟ فقال: ليس جوابك إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب ثم خرج قائلاً:

ولو أنني جاوبته لأمضه
نوافذ قولي واحتضار جوابي
ولكنني أغضي على مضض الحشا
ولو شئت إقداماً لأنشب نابي

في البحار إن أمير المؤمنين عليه السلام مرَّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم

لا ينقص الكامل عن كماله
ما جرَّ من نفع إلى عياله

وعن زيد بن علي أن علياً كان يمشي في خمسة (مواضع) حافياً، ويعلّق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، والنحر، والجمعة، وعند العيادة، وتشييع الجنازة، ويقول: إنها مواضع الله وأُحب أن أكون فيها حافياً.

وكان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده وهو إذ ذاك يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأُ.

فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، فارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضاً، فكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله أسرَّ إلي ألف حديث لكل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله جل جلاله يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وإني أُقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يُدعَون بإمامهم وهو ضب، ولو شئت أن أُسميهم لفعلت! قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث قد سقط كما سقط السعف حياءً ولوماً وجبناً.

قال ابن أبي الحديد في شرحه:

«وأما الحلم والصفح: فكان أحلم الناس عن مذنب، وأصفحهم عن مسيء وقد ظهرت صحة ما قلنا يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم، وكان أعدى الناس له وأشدّهم بغضاً، فصفح عنه.

وكان عبد الله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد... وكان علي يقول: ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتى شبَّ عبد الله.

فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيراً فصفح عنه، وقال: اذهب فلا أرينك. لم يزده على ذلك.

وظفر سعيد بن العاصي بعد وقعة الجمل بمكة، وكان عدواً له فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلما ظفر بها أكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس، عمَّمهن بالعمائم، وقلَّدهن بالسيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا

فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله.

قال عليه السلام: يا عبد الله: إنها خادم وليس لها أمر، فاردُد إليها درهمها وخذ التمر. فقام إليه الرجل فلكزه فقال الناس: هذا أمير المؤمنين. فربا الرجل واصفر وأخذ التمر ورد إليها درهمها ثم قال: يا أمير المؤمنين إرض عني. فقال: ما أرضاني عنك إن أصلحت أمرك، وفي رواية: «إذا وفيت الناس حقوقهم».

ودعى عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك، فقال: الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، إمضِ، فأنت حر لوجه الله.

وكان عليه السلام في صلاة الصبح فقرأ ابن الكواء: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فأنصت علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم أعاد ابن الكواء الآية فانصت أيضاً. ثم قرأ فأعاد ابن الكواء فانصت علي، ثم قرأ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ ثم أتم السورة وركع.

(في البحار) عن الأصبغ بن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى (الخورنق) فقالوا: نتنزَّه فإذا كان يوم الأربعاء خرجنا فلحقنا علياً قبل أن يجتمع (أي يصلي الجمعة) فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب، فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا، هذا أمير المؤمنين!!

علي عليه السلام والمواساة

عن أمالي المفيد عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكى إليه الجوع، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماءُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي بن أبي طالب: أنا له يا رسول الله. وأتى إلى ـ فاطمة عليها السلام ـ فقال لها: ما عندك يا بنت رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصِّبيَة نؤثر ضيفنا. فقال علي عليه السلام: يا بنت محمد: نَوِّمي الصِبية وأطفئي المصباح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي رواية: فقال علي: يا بنت محمد: نوّمي الصبية واطفئي المصباح. وجعلا يمضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي صلى الله عليه وآله فلمّا سلَّم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة إقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ الخ.

(عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه): قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة يقول: اللهم ولي

يجوز أن يُذكر به، وتأفَّفت، وقالت: هتك ستري ورجاله الذين وكلهم بي!! فلما وصلت إلى المدينة ألقت النساءُ عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه، ووجوه أولاده بالسيوف وسبّوه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه ـ في أقطار العسكر ـ: ألا: لا يُتَّبَع مُوَلٍّ، ولا يُجهَز على جريح، ولا يُقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيَّز إلى عسكر الإمام فو آمن. ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلاَّ الصفح والعفو.

علي عليه السلام والمواساة

عن أمالي المفيد عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكى إليه الجوع، فبعث رسول الله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماءُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال علي بن أبي طالب: أنا له يا رسول الله. وأتى إلى ـ فاطمة عليها السلام ـ فقال لها: ما عندك يا بنت رسول الله؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت الصِّبيَة نؤثر ضيفنا. فقال علي عليه السلام: يا بنت محمد: نَوِّمي الصِبية وأطفئي المصباح فلما أصبح عدا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وفي رواية: فقال علي: يا بنت محمد: نوّمي الصبية واطفئي المصباح. وجعلا يمضغان بألسنتهما فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله، فلما أصبح صلى مع النبي صلى الله عليه وآله فلمّا سلَّم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين وبكى بكاءً شديداً وقال يا أمير المؤمنين لقد عجب الرب من فعلكم البارحة إقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ الخ.

(عن محمد بن الصمة عن أبيه عن عمه): قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة يقول: اللهم ولي

يجوز أن يُذكر به، وتأفَّفت، وقالت: هتك ستري ورجاله الذين وكلهم بي!! فلما وصلت إلى المدينة ألقت النساءُ عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة.

وحاربه أهل البصرة، وضربوا وجهه، ووجوه أولاده بالسيوف وسبّوه ولعنوه، فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه ـ في أقطار العسكر ـ: ألا: لا يُتَّبَع مُوَلٍّ، ولا يُجهَز على جريح، ولا يُقتل مستأسر ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن تحيَّز إلى عسكر الإمام فو آمن. ولم يأخذ أثقالهم، ولا سبى ذراريهم ولا غنم شيئاً من أموالهم، ولو شاء أن يفعل كل ذلك لفعل، ولكنه أبى إلاَّ الصفح والعفو.

علي عليه السلام والكرم

(في البحار): جاء أعرابي إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين إني مأخوذ بِثَلاث علل: علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل. فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا أخا العرب: علة النفس تعرض على الطبيب وعلة الجهل تعرض على العالم وعلة الفقر تعرض على الكريم. فقال الأعرابي أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطبيب، فأمر أمير المؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعلة النفس، وألفاً بعلة الجهل، وألفاً بعلة الفقر.

وسأله أعرابي شيئاً فأمر له بألف، فقال الوكيل: من ذهب أو فضة؟ فقال عليه السلام كلاهما عندي حجران، فأعط الأعرابي أنفعهما له.

وقال له ابن الزبير: إني وجدت في حساب أبي: أن له على أبيك ثمانين ألف درهم، فقال له: إن أباك صادق، فقضى ذلك، ثم جاءه فقال: غلطت فيما قلت، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك فقال: والدك في حل والذي قبضته مني هو لك!!

قال الصادق عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام أعتق ألف نسمة من كدّ يده، جماعة لا يحصون كثرة.

وقال له رجل ـ ورأى عنده وسق نوى ـ: ما هذا يا أبا الحسن؟

المؤمنين إله المؤمنين وجار المؤمنين، إقبل قرباني الليلة، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يواريني، فإنك تعلم أني منعته نفسي مع شدة سغبي أطلب القربة إليك غنماً، اللهم فلا تخلق وجهي ولا ترد عودتي، فأتيته حتى عرفته فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فأتى رجلاً فأطعمه.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قسّم نبي الله الفيء فأصاب علياً أرضٌ، فاحتفر فيها عيناً فخرج ماءُ ينبع في السماء كهيئة عنق البعير، فسمّاها ينبع، فجاء البشير يبشر فقال عليه السلام بَشِّرِ الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله وعابر سبيل لا تباع ولا تورث، فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

قال ابن أبي الحديد في شرحه؛ وأما السخاءُ والجود: فحاله في ظاهره كان يصوم ويطوي، ويؤثر بزاده، وفيه أُنزل: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ وروى المفسرون: إنه لم يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانية، فأنزل فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

وروي أنه كان يسقي بيده النخل لقوم من يهود المدينة حتى مجلت يداه، ويتصدق بالأجرة، ويشد على بطنه حجراً.

قال الشعبي ـ وقد ذكره عليه السلام: كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبّه الله: السخاءُ والجود، ما قال: لا. لسائل قط.

وقال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه: معاوية بن أبي سفيان ـ لمحفن بن أبي محفن الضبي ـ (لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس): قال ويحك! كيف تقول: إنه أبخل الناس وهو الذي لو ملك بيتاً من تِبر وبيتاً من تِبن، لأنفذ تبره قبل تبنه؟!!

قال: مائة ألف نخل إن شاء الله، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة، فهو من أوقافه ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرى، ووقف مال أبي نيرز والبغيبغة وأرباحاً وأرينة ورغد ورزيناً ورياحاً على المؤمنين وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج، وهو باق إلى يومنا هذا وحفر آباراً في طريق مكة والكوفة، وهي مسجد الفتح في المدينة، وعند مقابل قبر حمزةعليه السلام، وفي الميقات وفي الكوفة وجامع البصرة وفي عبادان وغير ذلك.

عن أحمد بن أبي المقدام العجلي قال: يروى أن رجلاً جاء إلى علي بن أبي طالبعليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة، فقال: أكتبها في الأرض فإني أرى الضر فيك بيّناً، فكتب في الأرض أنا فقير محتاج، فقال عليعليه السلام: يا قنبر إكسه حلتين، فأنشأ الرجل يقول:

كسوتني حُلَّةً تُبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاً
إن نلتَ حسن ثنائي نلتَ مكرمة
ولست تبغي بما قد نلته بدلاً
إن الثناء لَيُحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به
فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقالعليه السلام: أعطوه مائة دينار، فقيل له: يا أمير المؤمنين لقد أغنيته. فقال: إني سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: أنزل الناس منازلهم، ثم قال عليعليه السلام: إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم.

على العدالة والتزامه بها بالغاً ما بلغ هو السبب الوحيد الذي فرّق عنه ذوي الأطماع والأغراض، وأخاف ذوي المناصب والكنوز التي كانت عصارة دماء المسلمين، وهدّد الفسقة الفجرة الذين استوجبوا إقامة الحدود الإلهية وقطع آمال المستغلين وأماني حواشي السلاطين، وغير ذلك من الأمور التي تدرك ولا توصف، فاجتمت هذه العوامل، وأججت نيران الحروب الداخلية ضد الإمام عليه السلام

إذ لولا عدالة علي عليه السلام لما ذهب أخوه عقيل إلى معاوية ولولا عدل أبي الحسن عليه السلام لما انضم طلحة والزبير إلى عائشة للمساهمة في تكوين حرب الجمل.

لو كان علي عليه السلام ظالماً لأمهل معاوية يتصرف في مقدرات المسلمين وما كانت حرب صفين.

وهكذا وهلم جرا، فإن كانت العدالة نغّصت على علي عليه السلام عيشته وسلبته الراحة والإطمئنان، وجرّت عليه النوائب فإن التاريخ الصحيح عرف لعلي عليه السلام هذه الفضيلة وشكره عليها، وإن كان بعض الشواذ يعتبرون العدالة منافية للسياسة، ويرون الأرجح تقديم السياسة على الدين عند التعارض، فإن علياً عليه السلام يضرب بالسياسة ـ التي تزاحم دين علي عليه السلام ـ عرض الجدار ويتبرأ منها.

وهو التلميذ الأول للرسول صلى الله عليه وآله والمعلم الثاني للأمم عبر التاريخ، ولو كان علي عليه السلام يمشي وراء السياسة لعرفه التاريخ رجلاً سياسياً فحسب، وما كانت الملوك والعظماءُ يطأطأون هاماتهم أمام عظمته وينظرون إليه بكل تقدير وتقديس.

نذكر نماذج من تلك العدالة، ولا يسعنا الإسهاب في الكلام

علي عليه السلام والعدل

العدل: ما أحلى هذا الاسم عند النفوس المظلومة، وما أحبه إلى المضطهدين وما أبغضه عند الظالمين الذين يزاحم العدل منافعهم وأرباحهم.

هذه الكلمة التي تتلهف إليها النفوس وعليها أساس الملك وبها نظام الاجتماع واعتداله، وإنني أعتقد أن أصعب قانون يمكن تطبيقه وتنفيذه في المجتمع هو قانون العدالة!! لاصطدام هذا القانون بنزعات الأقوياء الذين لو كانت العدالة موجودة لما كانوا أقوياء، وهؤلاء في طليعة المكافحين لهذه الفضيلة، والتاريخ والحس والوجدان شواهد على هذا، ولا أراني بحاجة إلى دليل.

ومن لوازم تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى أوّلاً، وحزم وعزم فوق كل عاطفة واتجاه ومصانعة ثانياً وعدم الخوف من المشاكل المتوقعة، المحتمل وقوعها ثالثاً.

وقد توفَّرت هذه المؤهلات كلها في نفسية علي عليه السلام فهو الإيمام كله والتقوى المتجسدة، وهو أقوى رجل يستطيع السيطرة على أعصابه وعواطفه وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو الحق المحض الذي لا يشوبه شيءٌ، ونستطيع أن نقول: إن تطبع نفسية الإمام عليه السلام

منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلا بإذنه، فأن أكثره له، فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه، ولا عنف به، فاصدع المال صدعين ثم خيِّره أيَّ الصدعين شاء، فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءٌ لحق الله تبارك وتعالى في ماله، فإذا قبض يقرأ ذلك فاقبض حق الله منه وإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله في ماله، فإذا قبضته فلا تُوكّل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنف بشيءٍ منها، ثم أحدر كلما اجتمع عندك من كل ناد إلينا فصيّره حيث أمر الله عز وجل، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يفرق بينهما، ولا يمصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً، وليعدل بينهن في ذلك وليوردهن كل ماءٍ يمرّ به، ولا يعدل بهن عن ليت الأرض إلى جواد الطريق في الساعة التي فيها تريح وتغبق، وليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن الله سحاحاً سماناً غير متعبات ولا مجهدات، فنقسمهن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على أولياء الله فإن ذلك أعظم لأجرك وأقرب لرشدك، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته، فإن رسول الله ﷺ قال: ما ينظر الله إلى ولي له يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولإمامه إلا كان معنا في الرفيق الأعلى. قال: ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام ثم قال: لا والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عُمل بكتاب الله ولا سنة نبيه في هذا العالم، ولا أُقيم في هذا الخلق حَدٌّ منذ قبض الله أمير المؤمنين عليه السلام ولا عُمِل بشيءٍ من الحق إلى يوم الناس هذا، ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء ويرد الله الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي

لضيق المجال، ولعلنا نستطيع التحدث عن هذه الفضيلة بصورة أوسع في مناسبة أُخرى إن شاء الله:

دخل عمر بن العاص على أمير المؤمنين عليه السلام ليلة وهو في بيت المال وكان الإمام ينظر في أموال المسلمين وحسابهم ودواوين العطاء وعنده سراج يضيءُ بنوره الضئيل، وقد إشتُرِي زيت السراج من بيت المال، لأن السراج عائد لمصالح بيت مال المسلمين.

فلما دخل ابن العاص وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أطفأ الإمام السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء بغير استحقاق!!

وبنى عليه السلام موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة. ويقال له: (المربد) فكان يعلفها علفاً لا يسمنها ولا يهزِلُها من بيت المال. فلمن أقام عليها بينة أخذها، وإلا أقرّها على حالها. وتظهر الحكمة في تحديد كمية علف الحيوانات، وهي رعاية الحيوان والمحافظة عليه ورعاية بيت المال والاهتمام به.

في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام مُصدّقاً من الكوفة (المصدّق: عامل الزكاة التي يستوفيها) إلى باديتها وقال: يا عبد الله: إنطلق، وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ولا تؤثرن دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ائتمنك عليه، مراعياً لحق الله فيه حتى تأتي نادي بني فلان، فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بسكينة ووقار حتى تقدم بينهم وتسلم عليهم ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لك: لا. فلا تراجعه، وإن أنعم لك

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام».

ثم دفع الرقعة إلي، فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً، فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية.

ارتضاه لنفسه ونبيه ﷺ، فابشروا ثم ابشروا ثم ابشروا فوالله ما الحق إلا في أيديكم.

في البحار: روي أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد موت علي عليه السلام، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتكِ؟ قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يتقدم علينا من قِبَلك من يسمو بمكانك، ويبطش بقوة سلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطأة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك وإلا كفرناك، فقال معاوية: إياي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه، فأطرقت سودة ساعة ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمنها
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا
فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والله لقد جئته في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا، فجارَ علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رآني إنفتل من صلاته ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال:

اللهم أنت الشاهد عليَّ وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

«إلهي أُفكّر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم اذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي» ثم قال: «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه. فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء» ثم قال: «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من غمرة من ملهبات لظى». قال: ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة فقلت غلب عليه النوم لطول السهر، أُوقظه لصلاة الفجر، قال أبو الدرداء، فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحرّكته فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو فقلت: «إنا لله وإنا إليه راجعون» مات والله علي بن أبي طالب. قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، ونظر إليَّ وأنا أبكي، فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف ولو رأيتني وَدُعي بي إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحياءُ ورحمني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية، فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن أبي الحديد: وأما العبادة: فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً، وملازمة للأوراد، وقيام النافلة، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده: أن يُبسط له نطع بين الصَفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته؟؟

علي عليه السلام والعبادة

في الأمالي عن عروة بن الزبير بن كنا جلوساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم ألا أُخبركم بأقل القوم مالاً وأكثرهم ورعاً وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: مَن؟ قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه وجهه، ثم انتدب له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها، فقال أبو الدرداء: يا قوم إني قائل ما رأيت، وليقل كل قوم منكم ما رأوا، شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام بشويطحات (أشجار) النجار، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممن يليه واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبَعُد علي مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجي وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حملتَ عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك» فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام بعينه فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجاه أن قال:

علي عليه السلام وطلاقة الوجه مع المهابة

قال ابن أبي الحديد في مقدمته على شرح النهج:

وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو مضروب به المثل فيه، حتى عابه بذلك أعداؤُه، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: إنه ذو دعابة شديدة، وقال علي عليه السلام في ذلك: عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة وإني امرؤٌ تلعابة، أُعافس وأُمارس.

وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر لقوله ـ لما عزم علي استخلافه ـ: لله أبوك! لولا دعابة فيك. إلاَّ أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها ونسجها.

قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه: كان فينا كأحدنا، لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد.

وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه.

وقال معاوية لقيس بن سعد، رحم الله أبا حسن فلقد كان هشاً بشاً، ذا فكاهة، قال قيس: نعم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك حسواً في ارتغاءٍ وتعيبه، أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى، تلك هيبة التقوى ليس كما يهابك أهل الشام!!

وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده؟

وأنت إذا تأملت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته، والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسان جرت؟؟!!

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام ـ وكان الغاية في العبادة ـ: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الليلة الحادية عشرة

علي عليه السلام والخصائص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يحب ويرضى والصلاة على محمد المصطفى وأخيه المرتضى وآله الأصفياء.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ كلامنا ـ الليلة ـ حول شيءٍ يسير من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله المختصة به. ولا شك أن في الناس من تشمله العناية الإلهية ويساعده التوفيق أو الحظ فتتوفر فيه النعم والمواهب والفضائل فيمتاز عن غيره وتتكون له شخصية بارزة في النفوس يُذكر ويُشكر عليها.

وفي الوقت نفسه نجد أفراداً حُرموا من تلك المواهب لعدم استعدادهم أو عدم توفر الظروف المساعدة لهم، فلا يكون لهم في المجتمع أي وزن وقيمة وكرامة، وهذه الطبقة المسكينة تتكون عندهم عقدة الحقارة النفسية فيحسبون أنفسهم منبوذين لفقدانهم المزايا

والشيعة يعتقدون أن علياً عليه السلام مستجاب الدعوة بالإضافة إلى منزلته الرفيعة ودرجاته العالية عند الله تعالى، وبناءً على هذا يعتقدون صحة هذا الخبر.

أما لفظ الحديث فعن أسماء بنت عميس: أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر، ثم أرسل علياً في حاجة، فجاء وقد صلى رسول الله العصر، فوضع رأسه في حجر علي ولم يحرّكه حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه فرد عليه شرقها.

قالت أسماءُ: فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس.

أما المحدثون من الشيعة فكلهم متفقون على هذه الفضيلة وذكروها في كتبهم وموسوعاتهم، ولقد ذكروا أن هذه الفضيلة وقعت مرتين: مرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ومرة أُخرى أيام خلافة الإمام عليه السلام ومروره على أرض بابل بالقرب من مدينة الحلة، كما روى ذلك نصر بن مزاحم بإسناده عن عمر قال: حدثني عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي عن أبيه عن عبد خير قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرتِ الصلاة صلاة العصر، قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أقبح من الآخر حتى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب فنزل علي ونزلت معه، فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، فصلينا العصر ثم غابت الشمس... الخ.

وفي علل الشرائع: عن جويرية بن مسهر قال: قطعنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جسر الصراة في وقت العصر، فقال:

والفضائل، ويشتد شعورهم بالحقارة النفسية فتهون عليهم أنفسهم، وإرضاءً لغرائزهم المتكونة من تلك العقدة، يحاولون سلب الخصائص الموجودة عن المنعمين بها، أو انتقاصهم والمس بكرامتهم والتشنيع عليهم إجابةً للحسد الذي يحز في صدورهم ولا شك أن عدد الفاقدين للفضائل أكثر من الواجدين لها، وعلى هذا نرى أصحاب النعم والمواهب محسودين وكلما ازدادوا فضيلة إزداد عدد حُسادهم!!

ولا يقف أمام الحسد شيءٌ إلا الإيمان بالله والرضى والتقدير أو السعي والاهتمام في تحصيل تلك المزايا والفضائل الموجودة في المحسود فتحصل المشاركة معه ويزول الاختصاص عنه.

وكان رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هم المحسودون في كل زمان ومكان للسبب المتقدم ذكره، وقد وردت أحاديث في تفسير الآية التي افتتحنا بها الكلام أن المقصود من (الناس) في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هم عترة رسول الله ﷺ.

ونذكر في هذه الليلة بعض خصائص الإمام عليه السلام وقد مرَّ عليكم ـ فيما سبق ـ شيءٌ من ذلك، ويمكن لنا أن نقول: إن فضائل الإمام عليه السلام كلها خصائص منحصرة به لا يشاركه فيها أحد من الناس.

ومن جملة ذلك: حديث رد الشمس لعلي عليه السلام.

أما الشيعة فلا يشكُّون في قدرة الله تعالى، ويعتقدون أن الله تعالى هو خالق الشمس، وخالق الشمس قادر على ردّها بعد الغروب، وليس ذلك محالاً عقلاً ولا قدرةً وليس من قبيل اجتماع الضدين أو النقيضين، وكذلك لا يشكُّون في استجابة دعاء النبي ﷺ ومسألته من الله تعالى أن يرد الشمس لعلي عليه السلام ليصلي صلاة العصر.

زوجة النبيﷺ وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبيﷺ كان ذات يوم في منزله وعليعليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريلعليه السلام يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسد فخذَ أمير المؤمنينعليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر، فصلى أمير المؤمنينعليه السلام جالساً يؤمي بركوعه وسجوده إيماءً، فلما أفاق من غشيتهﷺ قال لأمير المؤمنينعليه السلام: أفاتتك صلاة العصر؟ قال: لم أستطع أن أُصلّيها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي، فقال له: أُدع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله، فسأل أمير المؤمنينعليه السلام الله في ردّ الشمس، فَرُدَّت حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلى أمير المؤمنينعليه السلام صلاة العصر في وقتها ثم غربت.

وكان رجوعها بعد النبيﷺ أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، فصلىعليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى في ردّها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر، فلما سلم القوم غابت الشمس فأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم، وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس.

رواة حديث رد الشمس لعليعليه السلام من علماء العامة هم:

إن هذه أرض معذَّبَة، لا ينبغي لنبي ولا وصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فيها فليُصلّ. فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلّون، فقلت أنا: والله لأقلّدن هذا الرجل صلاتي اليوم، ولا أُصلي حتى يصلي.

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت (غابت) الشمس، وقطعنا الأرض فقال: يا جويرية أذِّن. فقلت: تقول أذِّن وقد غابت الشمس، فقال: يا جويرية أذِّن. فأذّنت ثم قال لي: أقِم. فأقمت فلما قلت: «قد قامت الصلاة» رأيت شفتيه يتحركان، وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية، فارتفعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلى، فلما انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم، فقلت: أنا أشهد أنك وصي رسول الله. فقال يا جويرية أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾؟

فقلت: بلى. قال: فإني سألت الله باسمه العظيم فردها عليَّ.

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين رُدّت الشمس لعلي عليه السلام فيها.

في البحار ج 9 عن إرشاد المفيد:

«مما أظهر الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماءُ السِيَر والآثار ونظمت فيه الشعراءُ الأشعار، رجوع الشمس له عليه السلام مرتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته صلى الله عليه وآله أُخرى، وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماءُ بنت عميس وأم سلمة

زوجة النبيﷺ وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو سعيد الخدري في جماعة من الصحابة أن النبيﷺ كان ذات يوم في منزله وعليعليه السلام بين يديه إذ جاءه جبريلﷺ يناجيه عن الله سبحانه، فلما تغشاه الوحي توسد فخذَ أمير المؤمنينعليه السلام فلم يرفع رأسه عنه حتى غربت العصر، فصلى أمير المؤمنينعليه السلام جالساً يؤمي بركوعه وسجوده إيماءً، فلما أفاق من غشيتهﷺ قال لأمير المؤمنينعليه السلام: أفاتتك صلاة العصر؟ قال: لم أستطع أن أُصلّيها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي، فقال له: أُدع الله حتى يرد عليك الشمس لتصليها قائماً في وقتها كما فاتتك فإن الله تعالى يجيبك بطاعتك لله ورسوله، فسأل أمير المؤمنينعليه السلام الله في ردّ الشمس، فَرُدَّت حتى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلى أمير المؤمنينعليه السلام صلاة العصر في وقتها ثم غربت.

وكان رجوعها بعد النبيﷺ أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم، فصلىعليه السلام بنفسه في طائفة معه العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس وفاتت الصلاة كثيراً منهم، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه، فتكلموا في ذلك، فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى في ردّها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر، فلما سلم القوم غابت الشمس فأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم، وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس.

رواة حديث رد الشمس لعليعليه السلام من علماء العامة هم:

إن هذه أرض معذَّبَة، لا ينبغي لنبي ولا وصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فيها فليُصلّ. فتفرق الناس يمنة ويسرة يصلّون، فقلت أنا: والله لأقلّدن هذا الرجل صلاتي اليوم، ولا أُصلي حتى يصلي.

فسرنا وجعلت الشمس تسفل وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت (غابت) الشمس، وقطعنا الأرض فقال: يا جويرية أذِّن. فقلت: تقول أذِّن وقد غابت الشمس، فقال: يا جويرية أذِّن. فأذّنت ثم قال لي: أقِم. فأقمت فلما قلت: «قد قامت الصلاة» رأيت شفتيه يتحركان، وسمعت كلاماً كأنه كلام العبرانية، فارتفعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلى، فلما انصرفنا هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم، فقلت: أنا أشهد أنك وصي رسول الله. فقال يا جويرية أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾؟

فقلت: بلى. قال: فإني سألت الله باسمه العظيم فردها عليَّ.

وهنا حديث يجمع بين المرتين اللتين رُدّت الشمس لعلي عليه السلام فيها.

في البحار ج 9 عن إرشاد المفيد:

«مما أظهر الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما استفاضت به الأخبار ورواه علماءُ السِيَر والآثار ونظمت فيه الشعراءُ الأشعار، رجوع الشمس له عليه السلام مرتين: في حياة النبي صلى الله عليه وآله مرة وبعد وفاته صلى الله عليه وآله أُخرى، وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماءُ بنت عميس وأم سلمة

13 ـ الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي أخرجه في كتابه (الذرية الطاهرة).

14 ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي في (مشكل الآثار).

15 ـ الحافظ أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي.

16 ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني رواه في (معجمه الكبير).

17 ـ الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين ذكره في (مسنده الكبير).

18 ـ الحاكم أبو عبد الله النيسابوري رواه في تاريخ (نيسابور).

19 ـ الحافظ ابن مردويه الأصبهاني أخرجه في (المناقب).

20 ـ أبو إسحاق الثعلبي رواه في (تفسيره).

21 ـ الفقيه أبو الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي الشافعي عده من أعلام النبوة في كتابه (أعلام النبوة).

22 ـ الحافظ أبو بكر البيهقي رواه في (الدلائل).

23 ـ الحافظ الخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المتشابه).

24 ـ الحافظ أبو زكريا الأصبهاني الشهير بابن مندة أخرجه في كتابه (المعرفة).

25 ـ الحافظ القاضي عياض أبو الفضل المالكي الأندلسي رواه في كتابه (الشفاء).

26 ـ أخطب الخطباء الخوارزمي رواه (في المناقب).

1 ـ أبو بكر الوراق، له كتاب: (من روى رد الشمس).

2 ـ أبو الحسن شاذان الفضيلي، له رسالة.

3 ـ الحافظ أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، له كتاب مفرد فيه.

4 ـ أبو القاسم الحاكم ابن الحداد الحسكاني النيسابوري الحنفي له رسالة (مسألة في تصحيح رد الشمس).

5 ـ أبو عبد الله الجعل الحسين بن علي البصري ثم البغدادي له كتاب: (جواز رد الشمس).

6 ـ أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد له كتاب: (رد الشمس لأمير المؤمنين).

7 ـ أبو علي الشريف محمد بن أسعد بن المعمر الحسني النقيب النسابة له جزءٌ في جمع (طرق حديث رد الشمس) لعلي عليه السلام.

8 ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي له جزءٌ (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس).

9 ـ الحافظ جلال الدين السيوطي له رسالة في الحديث أسماها (كشف اللبس عن حديث رد الشمس).

10 ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي رواه في سننه.

11 ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري.

12 ـ محمد بن الحسين الأزدي، ذكره في كتابه في (مناقب علي).

41 ـ الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيتمي عدَّه في (الصواعق).

42 ـ الملا علي القارىء ذكره في (المرقاة).

43 ـ نور الدين الحلبي الشافعي رواه في (السيرة النبوية).

44 ـ شهاب الدين الخفاجي الحنفي ذكره في (شرح الشفا).

45 ـ أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن شهاب الدين الكردي الكوراني ذكره في كتابه (الأمم لإيقاظ الهمم).

46 ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي صححه في (شرح المواهب).

47 ـ شمس الدين الحفني الشافعي ذكره في تعليقه على (الجامع الصغير) للسيوطي.

48 ـ ميرزا محمد البدخشي ذكره في (نزل الأبرار).

49 ـ الشيخ محمد الصبان عدّه في (إسعاف الراغبين).

50 ـ الشيخ محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفية في عصره ذكره في (حاشيته).

51 ـ السيد أحمد زيني دحلان الشافعي ذكره في (السيرة النبوية) هامش (السيرة الحلبية).

52 ـ السيد محمد مؤمن الشبلنجي عده (في نور الأبصار) اقتطفنا هذه المصادر من كتاب (الغدير ج 3) لشيخنا الأميني رحمه الله.

هذا وللشعراء دور هام في الإشادة بهذه الفضيلة أعرضنا عن سرد قصائدهم رعاية للاختصار.

27 ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي رواه في (الخصائص العلوية).

28 ـ أبو المظفر يوسف قزأوغلي الحنفي رواه في (التذكرة).

29 ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، جعل في كتابه (كفاية الطالب) فصلاً في حديث رد الشمس لعلي عليه السلام.

30 ـ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي ذكره في كتابه (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة).

31 ـ شيخ الإسلام الحموينى رواه في (فرائد السمطين).

32 ـ الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي أخرجه في (طرح التثريب).

33 ـ الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بابن سبع ذكره في كتابه (شفاءُ الصدور).

34 ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني ذكره في (فتح الباري).

35 ـ الإمام العيني الحنفي ذكره في (عمدة القارىء).

36 ـ الحافظ السيوطي رواه في (جمع الجوامع).

37 ـ نور الدين السمهودي الشافعي ذكره في (وفاءُ الوفاء).

38 ـ الحافظ أبو العباس القسطلاني ذكره في (المواهب اللدنية).

39 ـ الحافظ ابن الربيع رواه في (تمييز الطيب من الخبيث).

40 ـ السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ذكره في (معاهد التنصيص).

خبر الطائر المشوي

في احتجاج الطبرسي: عن الإمام الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد بعد أن صلى الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان إذا أراد أن يتجه إلى موضع أعلمني بذلك فكان إذا أبطأ في الموضع صرت إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتقار (لا يسكن) قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: إنه متجه إلى بيت عائشة. فمضى ومضيت إلى بيت فاطمة عليها السلام فلم أزل مع الحسن والحسين، وهي وأنا مسروران بهما، ثم إني نهضت وصرت إلى باب عائشة فطرقت الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي، فقالت: إن النبي راقد، فانصرفت، ثم قلت: النبي راقد وعائشة في الدار؟! فرجعت وطرقت الباب فقلت لي عائشة: من هذا؟ فقلت أنا علي. فقالت: إن النبي على حاجة، فانثنيت (انصرفت) مستحيياً من دقي الباب، ووجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدققت الباب دقاً عنيفاً فقالت لي عائشة: من هذا؟ قلت: أنا علي، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: يا عائشة افتحي له الباب. ففتحت فدخلت فقال لي: اقعد يا أبا الحسن، أُحدثك بما أنا فيه أو تحدثني بإبطائك عني، فقلت: يا رسول الله حدّثني، فإن حديثك أحسن. فقال: يا أبا الحسن كنتُ في أمرٍ كتمته من ألم الجوع، فلما

فقال النبيﷺ: أبى الله إلا أن يكون الأمر هكذا، يا حميراء ما حملك على هذا؟ فقالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطير... الخ.

في مناقب ابن شهر آشوب: روى حديث الطير جماعة منهم: الترمذي في جامعه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبلاذري في تاريخه، والخركوشي في شرف المصطفى، والسمعاني في فضائل الصحابة، والطبري في الولاية، وابن البيع في الصحيح، وأبو يعلى في المسند، وأحمد في الفضائل والنطنزي في الاختصاص.

وقد رواه محمد بن يحيى الأزدي، وسعيد والمازني وابن شاهين والسدي، وأبو بكر البيهقي، ومالك وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الملك بن عمير، ومسعر بن كدام، وداوود بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو حاتم الرازي بأسانيدهم عن أنس وابن عباس وأُم أيمن.

ورواه ابن بطة في الإبانة من طريقين، والخطيب وأبو بكر في تاريخ بغداد من سبعة طرق.

وقد صنَّف أحمد بن محمد بن سعيد كتاب الطير، وقال القاضي أحمد، قد صح عندي حديث الطير.

وقال أبو عبد الله البصري، إن طريقة أبي عبد الله الجبائي في تصحيح الأخبار تقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده يوم الشورى فلم ينكر.

قال الشيخ: قد استدل به أمير المؤمنينعليه السلام على فضله في قصة الشورى بمحضر من أهلها، فما كان فيهم إلا من عرفه وأقرَّ به،

دخلت بين عائشة وأطلت القعود ليس عندها شيءٌ تأتي به مددت يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط عليَّ حبيبي جبرئيل ومعه هذا الطير ـ ووضع إصبعه على طائر بين يديه ـ فقال جبرئيل: إن الله عز وجل أوحى إلي أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فآتيك به يا محمد.

فحمدت الله كثيراً، وعرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسّر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطائر، فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب، فرفعت يدي، ثم قلت: اللهم يسر عبداً يحبك ويحبني وتحبه وأُحبه يأكل معي من الطائر، فسمعت طرقك للباب، وارتفع صوتك فقلت لعائشة، أدخلي علياً، فدخلت، فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إلي إذ كنتَ تحب الله وتحبني، ويحبك الله وأُحبك فكل يا علي.

فلما أكلت أنا والنبي الطائرَ قال لي: يا علي فحدثني، فقلت: يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضت أُريدك، فجئت فطرقت الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فقالت: إن النبي راقد. فانصرفت، فلما أن صرت إلى الطريق الذي سلكته رجعت فقلت: إن النبي راقد وعائشة في الدار؟ لا يكون هذا!! فجئت فطرقت الباب فقالت لي: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فقالت: النبي على حاجة فانصرفت مستحيياً. فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة وجدت في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً، وقلت: النبي على حاجة وعائشة في الدار؟ فرجعت فدققت الباب الدق الذي سمعته يا رسول الله، فسمعتك يا رسول الله تقول لها: أدخلي علياً.

حديث الطائر بصورة أُخرى

مجمع الحديث: إن إنس بن مالك تعصّب بعصابة، فسُئل عنها فقال: هذه دعوة علي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: أهدي إلى رسول الله ﷺ طائر مشوي فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي هذا الطير، فجاء علي فقلت له: رسول الله عنك مشغول، وأحببت أن يكون رجلاً من قومي. فدعا رسول الله ﷺ ثانياً، فجاء علي فقلت: رسول الله عنك مشغول، فرفع علي صوته وقال: وما يشغل رسول الله عني؟ وسمعه رسول الله ﷺ فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: علي بن أبي طالب، قال: إئذن له، فلما دخل قال له: يا علي إني قد دعوت الله ثلاث مرات أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه وإلي يأكل معي هذا الطير، ولو لم يجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك.

فقال: يا رسول الله إني قد جئت ثلاث مرات، كل ذلك يردني أنس ويقول: رسول الله عنك مشغول، فقال لي رسول الله ﷺ: ما حملك على هذا؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي، وفي رواية: قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار، فقال لي: أوَ في الأنصار خير من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي؟؟

قال أنس: فلما كان يوم الدار استشهدني علي فكتمته، فقلت

والعلم بذلك كالعلم بالشورى نفسها، فصار متواتراً، وليس في الأمة ـ على اختلافها ـ من دفع هذا الخبر.

وحدثني أبو العزيز كادش العكبري عن أبي طالب الحربي العشاري عن ابن شاهين الواعظ في كتابه: «ما قرب سنده» قال: حدثني نصر بن أبي القاسم الفرائضي، قال: قال محمد بن عيسى الجوهري قال: نعيم بن سالم بن قنبر، قال: قال أنس بن مالك... الخبر.

وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتابه قرب الإسناد، وقد رواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس، وعشرة عن رسول الله ﷺ فقد صح أن الله تعالى والنبي يحبانه، وما صحَّ ذلك لغيره، فيجب الاقتداءُ به.

ومن نُسب خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه.

حديث المنزلة

كانت غزوة تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ وخرج معه المسلمون الوضيع منهم والشريف، ولم يبق في المدينة إلا النساءُ والصبيان وعدد من المتخلفين، فأمر النبي ﷺ أن يبقى علي في المدينة يحرس المدينة ومن فيها من عوائل المسلمين، وإليكم التفصيل كما رواه المفيد في الإرشاد قال:

لما أراد رسول الله ﷺ الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له: يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وذلك أنه ﷺ علم من خبث نيات الأعراب وكثير من أهل مكة ومن حولها ممن غزاهم وسفك دماءهم، وأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه (ابتعاده) عنها، وحصوله ببلاد الروم أو نحوها فمتى لم يكن في المدينة من يقوم مقامه لم يؤمن معرّتهم، وإيقاع الفساد في دار هجرته والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه، وعلم ﷺ أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين عليه السلام فاستخلفه استخلافاً ظاهراً، ونص عليه بالإمامة من بعده نصاً جلياً وذلك فيما تظاهرت به الرواة: أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله ﷺ علياً على المدينة لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تتحرس به وتتحصن، ولا يكون فيها

إني نسيته، فرفع علي يده إلى السماء فقال: اللهم إرم أنساً بوضح لا يستره من الناس. وفي رواية: لا تواريه العمامة.

ثم كشف العمامة عن رأسه فقل: هذه دعوة علي!!

إن هارون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأُمه، وشريكه في أمره، ووزيره على نبوته وتبليغه رسالات ربه، وأن الله شَدَّ به أزره، وأنه كان خليفته على قومه، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته.

وأنه كان أحب قومه إليه، وأفضلهم لديه، قال الله عز وجل ـ حاكياً عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ فأجاب الله تعالى مسألته، وأعطاه أُمنيته، حيث يقول: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقال تعالى ـ حاكياً عن موسى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عددناه إلا ما خصه العرف من الأخوة في النسب واستثناه من النبوة لفظاً، وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين ولا ساواه في معناها، ولا قاربه فيها على حال... الخ.

لا زال ولا يزال بعض المتجاهلين من المسلمين يزعمون أن هذا الحديث غير ثابت في الصحاح ولا معترف به عند الحفاظ وأئمة الحديث.

أو يدعون اختصاص الحديث بيوم تبوك، فيسلبون منه الدلالة على الخلافة والإمامة العامة المطلقة، ونحن نجيب عن الموضوع الأول:

للعدو مطمع، فساءهم ذلك وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول الله عن المدينة وخُلُوّها من مرهوب مخوف يحرسها وغبطوه على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا (خاضوا في الأخبار السيئة قصد أن يهيج الناس) به، وقالوا: لم يستخلفه رسول الله ﷺ إكراماً له وإجلالاً ومودةً، وإنما خلَّفه استثقالاً له، فبهتوا بهذا الإرجاف، كبهت قريش للنبي ﷺ بالجنة (الجنون) تارة وبالشعر أُخرى وبالسحر مرة وبالكهانة أُخرى، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأن النبي كان أخص الناس بأمير المؤمنين عليه السلام وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده وأفضلهم لديه، فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلقتني استثقالاً ومقتاً. فقال له النبي ﷺ: إرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلاَّ بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

فتضمن هذا القول من رسول الله ﷺ نصَّه عليه بالإمامة وإبانته من الكافة بالخلافة، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلا ما خصَّه العرف من الأخوّة (في النسب) واستثناه هو من النبوة.

ألا ترى أنه ﷺ جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منه لفظاً وعقلاً.

وقد علم كل من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار:

والأسانيد والمصادر والمدارك.

أما الجواب عن الموضوع الثاني فنقول: إن الرسول الأعظمﷺ قد كرّر كلمته الذهبية (حديث المنزلة) في مواقف عديدة ومواطن كثيرة، ذكرها أعلام المسلمين متفقين على صحتها، وثبوتها واستقامة دلالتها في تلك الموارد، ـ كما في بشارة المصطفى ـ عن ابن عباس، قال: رأيت حسان بن ثابت واقفاً بمنى، والنبيﷺ وأصحابه مجتمعين، فقال النبيﷺ: هذا علي بن أبي طالب سيد العرب والوصي الأكبر، منزلته مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه. يا حسان قل فيه شيئاً، فأنشأ حسان بن ثابت يقول:

لا تقبل التوبة من تائب
إلا بحب ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره
والصهر لا يعدل بالصاحب
ومن يكن مثل علي وقد
ردّت له الشمس من المغرب
رُدت عليه الشمس في ضوئها
بيضاء كأن الشمس لم تغرب

ومن تلك الموارد: حديث رسول اللهﷺ مع أم سليم (أُم أنس بن مالك) وكان النبي يزورها ويحدثها في بيتها: يا أم سليم إن علياً لحمه من لحمي ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

روي ذلك في كنز العمال ومسند أحمد.

بأن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المتواترة عند المسلمين لا يشك فيه ذو دراية بالأحاديث، وإلمام بالروايات، ومعرفة وبصيرة بالأخبار، ولا مجال للمناقشة ـ عند ذي الألباب ـ حول صحة هذا الحديث.

وأما الرواة لهذا الحديث فكثيرون جداً يصعب استيعاب أسمائهم، ونذكر جملة من مشاهير علماء السنة وحفاظهم ورواتهم:

1 ـ الذهبي في تلخيص المستدرك.

2 ـ ابن حجر الهيتمي في الصواعق.

3 ـ صاحب الجمع بين الصحاح الستة.

4 ـ صاحب الجمع بين الصحيحين.

5 ـ البخاري في صحيحه.

6 ـ مسلم في صحيحه.

7 ـ ابن ماجة في سننه.

8 ـ أحمد بن حنبل في مسنده.

9 ـ البزاز في مسنده.

10 ـ الترمذي في صحيحه.

11 ـ ابن عبد البر في الاستيعاب.

وغيرهم ممن كتب أو ألف كتاباً في فضائل علي عليه السلام.

وأما محدثو الشيعة وحفاظهم فلا يشكُون في صحة هذا الحديث وشهرته، وهذه كتبهم مشحونة بذكر هذا الحديث بجميع الطرق

المؤاخاة بين النبي ﷺ وعلي عليه السلام

كل شيئين إذا جمعهما جامع يطلق على أحدهما: أنه أخو الآخر مثلاً: العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب، فيقال للعربي: يا أخا العرب. والفارسي يشارك الفُرس في العنصر فيقال له: يا أخا الفُرس. واليهودية تجمع بين اليهود فيقال لليهودي: يا أخا اليهود، وأفراد القبيلة يجمعهم كونهم من تلك القبيلة فيقال لهم: يا أخا كندة أو يا أخا تميم وهكذا بقية الأديان أو القبائل أو الأشياء التي تجمع بين الأفراد كالمماثلة والمشابهة...

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأُم وحدها يقال لهما: أخوان لأن الأب أو الأُم أو كلاهما يجمعان الإنسانين وعلى هذا الأساس يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي أن مبدأ الإيمان يجمعهما.

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأُخوة والإخاء في العرف والقرآن وقد تجتمع هذه العلل كأُخوة النسب وأُخوة الدين، وأُخوة المماثلة في إنسانين فتتقوى أواصر الأُخوة فيما بينهما.

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ آخى رسول الله ﷺ بين الأشكال والأمثال، فآخى بين

ومنها: يوم كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح عند النبيﷺ وهو متكىءٌ على عليعليه السلام فضرب بيده على منكبيه ثم قال: يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

ومنها: يوم الدار وقد سبق في أول ترجمة حياة أمير المؤمنينعليه السلام ومنها: يوم المؤاخاة الثانية وقد مضى ذكره، وكذلك يوم سد الأبواب وقد مر كل ذلك فيما سبق.

ولولا خوف الملل لذكرنا المصادر لهذه الأحاديث ويمكن لكم مراجعة كتاب (المراجعات) و(الغدير) وغيرهما من الكتب التي كتبت حول هذا الموضوع.

ومن جدّه جدّي ومن عَمُّه عمي
ومن أهله أُمي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً
دعاني وآخاني وبيَّن من فضلي
لك الفضل إني ما حييت لَشاكر
لإتمام ما أوليت يا خاتم الرُسل

وقال:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي
معه ربيت وسبطاه هما ولدي

وقال:

محمد النبي أخي وصنوي
وحمزة سيد الشهداء عمي

ولا شك أن هذه الأخوة ليست نسبية، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين، لئلا يتقدمه أحد منهم، ولا يتآمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين: الأشكال، وجعله شكلاً لنفسه، ولهذا كان علي عليه السلام يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة، وشدة الاختصاص بالنبي، وكان علي عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، لا يقوله غيري إلا كذاب.

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تبقي مجالاً للشك والريب، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماء السنة وحفاظهم، وتطرق إلى ذلك الشعراءُ في نظمهم وقريضهم لم نذكرها رعاية للاختصار.

أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء والبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أُم سلمة وصفية حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم ثم قال: «أنت أخي، وأنا أخوك يا علي».

وفي لفظ: قال علي عليه السلام: يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني، فقال: أنت أخي، أما ترضى أن تُدعى إذا دعيتُ، وتُكسى إذا كسيتُ، وتدخل الجنة إذا دخلتُ؟ قال: بلى يا رسول الله.

وفي رواية مناقب آل أبي طالب: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إنما أَخّرتك (أدخرتك) لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى علي عند ذلك وقال:

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي
هدانا به الرحمن من عَمَهِ الجهل
وأفديك حوبائي[1] وما قدر مهجتي؟
لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
ومن ضمّني مذ كنت طفلاً ويافعاً
وأنعشني بالبِر والعَلّ والنهل

(١) الحوباء: روح القلب أو النفس.

16 ـ تاريخ الخلفاء ص 114.

17 ـ الإصابة 2 ص 507.

18 ـ المواقف 3 ص 276.

19 ـ شرح المواهب 1 ص 373.

20 ـ طبقات الشعراني 2 ص 55.

21 ـ تاريخ القرماني هامش الكامل 1 ص 216.

22 ـ السيرة الحلبية 1 ص 23، 101.

23 ـ السيرة النبوية لزيني دحلان 1 ص 325.

24 كفاية الشنقيطي ص 34.

25 ـ الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ محمد رضا ص 21.

26 ـ الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود قاله في ص 73.

27 ـ الرياض النضرة 2 ص 209.

28 ـ تاريخ ابن عساكر 6 ص 201.

29 ـ كنز العمال 6 ص 390.

30 ـ تاريخ ابن هشام 2 ص 123.

31 ـ الفتاوى الحديثية ص 42.

32 ـ تاريخ الخطيب 12 ص 268.

33 ـ مسند أحمد 1 ص 230.

مصادر حديث المؤاخاة

بين رسول الله وعلي عليه السلام

وهي خمسون مصدراً

1 ـ جامع الترمذي 2 ص 213.

2 ـ مصابيح البغوي 2 ص 199.

3 ـ مستدرك الحاكم 3 ص 14.

4 ـ الاستيعاب 2 ص 460.

5 ـ تيسير الوصول 3 ص 271.

6 ـ مشكاة المصابيح هامش المرقاة 5 ص 569.

7 ـ الرياض النضرة 2 ص 167 وفي ص 212.

8 ـ الفصول المهمة ص 22، 29.

9 ـ تذكرة السبط ص 13، 15.

10 ـ كفاية الكنجي ص 82.

11 ـ السيرة النبوية لابن سيد الناس 1 ص 200 ـ 203.

12 ـ تاريخ ابن كثير 7 ص 335.

13 ـ أسنى المطالب للجزري ص 9.

14 ـ مطالب السؤول ص 18.

15 ـ الصواعق ص 73، 75.

بكر أن يذهب إلى مكة ويقرأها على الناس، وفي رواية: يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة، وأن ينبذ إلى كل ذي عهد عهده، فلما وصل أبو بكر إلى ذي الحليفة نزل جبرئيل على النبي وقال: لا يبلغ عنك إلا علي.

فدعا رسول الله علياً وأمره أن يركب ناقته العضباء، وأمره أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة ويقرأها على الناس بمكة، فأدرك علي أبا بكر فلما رآه أبو بكر فزع من لحوقه به واستقبله فقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر أنت معي أم لغير ذلك؟ فقال علي: إن رسول الله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أُخيّرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه، فقال: بل أرجع إليه وعاد إلى النبيﷺ فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق إليَّ فيه، فلما توجهت إليه رددتني عنه، ما لي أَنَزَل فيَّ قرآن؟ فقال له النبيﷺ: لا، ولكن الأمين جبرئيلعليه السلام هبط إلي عن الله عز وجل بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلي مني، ولا يؤدي عني إلا علي.

قال المقريزي في الإمتاع: بأن العرب كان إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم لم ينقض ذلك إلا الذي يحالف أو أقرب الناس قرابة منه، وكان عليعليه السلام هو الذي عاهد المشركين فلذلك بعثهﷺ ببراءة.

وذكر أو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نقيع قال: سألنا علياً بأي شيءٍ بعثت في ذي الحجة؟ قال بعثت بأربعة: لا تدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجّله أربعة أشهر.

34 ـ الإمتاع للمقريزي ص 340.

35 ـ المحاسن والمساوىء 1 ص 31.

36 ـ مجمع الزوائد 9 ص 111.

37 ـ مناقب الخوارزمي ص 87.

38 ـ شمس الأخيار ص 35.

39 ـ فيض القدير 4 ص 355.

40 ـ مصباح الظلام 2 ص 56.

41 ـ حلية الأولياء 1 ص 67.

42 ـ شرح ابن أبي الحديد 2 ص 449.

43 ـ فرائد السمطين 30 و50.

44 ـ نزهة المجالس 2 ص 241.

45 ـ ذخائر العقبى ص 91.

46 ـ تاريخ بغداد 11 ص 112.

47 ـ خصائص النسائي ص 32.

48 ـ سنن ابن ماجة 1 ص 57.

49 ـ العقد الفريد ص 275.

50 ـ تاريخ الطبري 312.

سورة براءة

لما نزلت هذه السورة على النبي محمدﷺ أمر رسول الله أبا

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تسع آيات من أولها، ثم لمع بسيفه (أي أشار) فأسمع الناس وكررها فقال الناس: من هذا الذي ينادي في الناس؟ فقالوا: علي بن أبي طالب، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد، وما كان ليجترىء على هذا غير عشيرة محمدﷺ، فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك ويقرأُ على الناس غدوة وعشية، فناداه الناس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرماح.

ثم انصرف عليعليه السلام إلى النبيﷺ يقصد في السير، وأبطأ الوحي عن رسول اللهﷺ في أمر علي وما كان منه، فاغتم النبي لذلك غماً شديداً حتى رؤي في وجهه، وكف عن النساء من الهم والغم، فقال بعضهم لبعض: لعله قد نعيت إليه نفسه أو عرض له مرض، فقالوا لأبي ذر: قد نعلم منزلتك من رسول الله، وقد ترى ما به، فنحن نحب أن تعلم لنا أمره، فسأل أبو ذر النبيﷺ عن ذلك، فقال النبي: ما نعيت إلي نفسي، وإني لميت، وما وجدت في أُمتي إلا خيراً، وما بي من مرض، ولكن من شدة وجدي بعلي بن أبي طالبعليه السلام وإبطاء الوحي عني في أمره، فإن الله عز وجل قد أعطاني في عليعليه السلام تسع خصال: ثلاثة لدنياي، واثنتان لآخرتي واثنتان أنا منهما آمن، واثنتان أنا منهما خائف، وقد كان رسول اللهﷺ إذا صلى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر الله عز وجل، وتقدم علي بن أبي طالبعليه السلام خلف النبيﷺ ويستقبل الناس بوجهه فيستأذنون في حوائجهم، وبذلك أمرهم رسول اللهﷺ فلما توجه عليعليه السلام إلى ذلك الوجه لم يجعل رسول الله مكان علي لأحد، وكان رسول اللهﷺإذا صلى وسلم استقبل الناس بوجهه فأذن للناس. فقام

وروي أنه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال: يا أيها الناس إني رسولُ رسولِ الله إليكم بأن لا يدخل البيت كافر، ولا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وآله فله عهده إلى أربعة أشهر، ومن لا عهد له فله مدة بقية الأشهر الحرم، وقرأ عليهم سورة براءة، وقيل: قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة، وروي أنه عليه السلام لما نادى فيهم: إن الله بريءٌ من المشركين. قال المشركون: نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

وهذه صورة أخرى

في البحار عن الإمام الباقر عليه السلام: لما سرّح رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر بأول سورة براءة إلى أهل مكة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن لا تبعث هذا وأن تبعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وإنه لا يؤديها عنك غيره، فأمر النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب فلحقه وأخذ منه الصحيفة وقال: إرجع إلى النبي، فقال أبو بكر: هل حدث فيّ شيءٌ؟ فقال: سيخبرك رسول الله، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما كنت ترى أني مؤد عنك هذه الرسالة؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أبى الله أن يؤديها إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فأكثر أبو بكر عليه من الكلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف تؤديها وأنت صاحبي في الغار. قال: فانطلق علي عليه السلام حتى قدم مكة ثم وافى عرفات، ثم رجع إلى جمع، ثم إلى منى ثم ذبح وحلق، وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب فأذن ثلاث مرات: ألا تسمعون أيها الناس إني رسولُ رسولِ الله إليكم؟ ثم قال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ إلى قوله:

علي عليه السلام يكسر الأصنام

روى أبو بكر الشيرازي... عن أبي هريرة قال: قال لي جابر بن عبد الله: دخلنا مع النبي مكة، وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فأُلقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل يقال له (هُبَل) فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وقال له: يا علي تركب (تصعد) أو أركب عليك لأُلقي هُبَل عن ظهر الكعبة؟ قلت: يا رسول الله بل تركبني فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة، قلت: يا رسول الله بل أركبك، فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو أردت أن أُمسك السماء لمسكتها بيدي!! فألقيت هبل عن ظهر الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾.

وروى أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إنطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأصنام فقال: إجلس، فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله على منكبي ثم قال لي: إنهض بي إلى الصنم، فنهضت به، فلما رأى ضعفي عنه قال: إجلس فجلست وأنزلته عني، وجلس لي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال لي: إصعد يا علي، فصعدت على منكبه ثم نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نهض بي خيّل لي أني لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة، وتنحى رسول الله صلى الله عليه وآله فألقيت صنمهم الأكبر صنم قريش، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض.

الحديث بصورة أُخرى: روى إسماعيل بن محمد الكوفي في خبر طويل عن ابن عباس أنه كان صنم لخزاعة من فوق الكعبة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن إنطلق بنا نلقي هذا الصنم عن البيت،

أبو ذر فقال: يا رسول الله لي حاجة، قال: انطلق في حاجتك. فخرج أبو ذر من المدينة يستقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما كان ببعض الطريق إذا هو براكب مقبل على ناقته، فإذا هو علي فاستقبله والتزمه وقبّله وقال: بأبي أنت وأُمي إقصد في مسيرك حتى أكون أنا الذي أُبشّر رسول الله صلى الله عليه وآله فإن رسول الله من أمرك في غم شديد وهمّ، فقال له علي عليه السلام: نعم، فانطلق أبو ذر مسرعاً حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: البشرى، قال: وما بشراك يا أبا ذر؟ قال: قدم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: لك بذلك الجنة، ثم ركب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وركب معه الناس فلما رآه أناخ ناقته، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله فتلقاه والتزمه وعانقه ووضع خده على منكب علي وبكى النبي فرحاً بقدومه وبكى علي معه، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما صنعت بأبي أنت وأُمي؟ فإن الوحي أبطأ علي في أمرك، فأخبره بما صنع، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كان الله عز وجل أعلم بك مني حين أمرني بإرسالك.

عن الصادق عليه السلام قال: خطب علي فاخترط سيفه وقال: لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن البيت مشرك، ومن كان له مدة فهو إلى مدته، ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر ـ زيادة في مسند الموصلي ـ: ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة وهذا هو الذي أمر الله تعالى به إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ فكان الله تعالى أمر إبراهيم الخليل بالنداء أولاً قوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ وأمر الولي بالنداء آخراً قوله: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ قال السدي وأبو مالك وابن عباس وزين العابدين عليه السلام: الأذان علي بن أبي طالب الذي نادى به.

علياً برسول الله تشرف، وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عز وجل ولو علاه النبيﷺ لحط الأصنام لكان بعلي مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام، ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه، ألا ترى أن علياًعليه السلام قال: «لما علوت ظهر رسول الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها»؟ أما علمت أن المصباح هو الذي يهتدي به في الظلمة وانبعاث فرعه من أصله وقد قال عليعليه السلام: «أنا من أحمد كالضوء من الضوء!».

حديث سد الأبواب

في البحار ج 9 عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: إن رسول اللهﷺ لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أبوابهم أراد الله عز وجل إبانة محمد وآله الأفضلين بالفضيلة، فنزل جبرئيلعليه السلام عن الله: بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول اللهﷺ قبل أن ينزل بكم العذاب، فأول من بعث إليه رسول اللهﷺ كان العباس، وكان الرسول معاذ بن جبل، ثم مر العباس بفاطمة عليها السلام فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين عليهما السلام فقال لها: ما بالكِ قاعدة؟ أنظروا إليها كأنها لبوءة بين يديها شبلاها! تظن أن رسول اللهﷺ يُخرج عمَّه ويدخل ابن عمه! فمرَّ بهم رسول اللهﷺ فقال لها: ما بالك قاعدة؟ فقالت: أنتظر أمر رسول اللهﷺ بسد الأبواب، فقالﷺ: إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسوله وأنتم نفس رسول الله، ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال: إني أحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررت إلى مصلاك، فأذن لي في خوخة (فرجة) أنظر إليك منها!

فانطلقا ليلاً فقال له: يا أبا الحسن إرق على ظهري، وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً، فحمله رسول الله ﷺ فقال: انتهيت يا علي؟ قال: والذي بعثك بالحق لو هممت أن أمس السماء بيدي لمستها. واحتمل الصنم وجلد به الأرض فتقطع قطعاً، ثم تعلق بالميزاب وتخلى بنفسه إلى الأرض، فلما سقط ضحك، فقال النبي ﷺ: ما يضحكك يا علي أضحك الله سِنّك؟ قال: ضحكت يا رسول الله تعجباً من أني رميتُ بنفسي من فوق البيت إلى الأرض فما ألمت ولا أصابني وجع! فقال: كيف تألم يا علي أو يصيبك وجع إنما رفعك محمد وأنزلك جبرئيل..

وفي علل الشرائع وجامع الأخبار عن محمد بن حرب الهلالي أمير المدينة قال: سألت جعفر بن محمد «الصادق» عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله في نفسي مسألة أُريد أن أسألك عنها. فقال: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني وإن شئت فاسأل قال قلت له: يابن رسول الله وبأي شيءٍ تعرف ما في نفسي قبل سؤالي؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ وقول رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟» قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني بمسألتي قال: أردت أن تسألني عن رسول الله لِم لَم يُطق حمله علي عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة مع قوته وشدته ومع ما ظهر منه في قلع باب القوم بخيبر والرمي به إلى ورائه أربعين ذراعاً؟ وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً؟ وقد كان رسول الله ﷺ يركب الناقة والفرس والحمار وركب البراق ليلة المعراج وكل ذلك دون علي في القوة والشدة؟ قال: فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألك يابن رسول الله فأخبرني. فقال عليه السلام: إن

حمزة قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام فقال: يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب فقال له نبي الله: لو كان الأمر إليَّ ما جعلت دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلا الله وإنك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر، فبشره النبي ﷺ فقتل يوم أُحد شهيداً، ونفس ذلك رجال على علي فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً فقال: إن رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أُسكن علياً في المسجد وأُخرجهم والله ما أخرجهم ولا أسكنته، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وأمر موسى أن لا يسكن مسجداً ولا ينكح فيه ولا يدخله إلا هارون وذريته، وإن علياً بمنزلة هارون من موسى وهو أخي دون أهلي ولا يحل مسجدي لأحد ينكح فيه النساء إلا علي وذريته، فمن شاء فها هنا ـ وأومأ بيده نحو الشام.

ولابن أبي الحديد كلام جامع يشير إلى بعض الفضائل بصورة موجزة يقول:

وكان أمير المؤمنين عليه السلام ذا أخلاق متضادة، فمنها أن الغالب على أهل الإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوي قلوب قاسية وفتك وتنمر وجبرية، والغالب على أهل الزهد ورفض الدنيا وهجران ملاذّها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتذكيرهم الموت أن يكونوا ذوي رقةٍ ولين. وضعف قلب وخور طبع، وهاتان حالتان متضادتان وقد اجتمعتا له عليه السلام.

ومنها: أن الغالب على ذوي الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوي أخلاق سبعية وطباع وحشية، وكذلك الغالب على أهل الزهادة

فقال: قد أبى الله ذلك، فقال: فمقدار ما أضع عليه وجهي، قال قد أبى الله ذلك، قال: فمقدار ما أضع عليه عيني، فقال: قد أبى الله ذلك ولو قلت: قدر طرف إبرة لم آذن لك، والذي نفسي بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتهم ولكن الله أدخلهم وأخرجكم. ثم قال: لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً إلا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم.

الحديث بلفظ آخر

حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما قدم أصحاب النبيﷺ المدينة لم تكن لهم بيوت فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبيﷺ: لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا، ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإن النبيﷺ بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: إن رسول اللهﷺ يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك، فقال: سمعاً وطاعة، فسدَّ بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى عمر فقال: إن رسول اللهﷺ يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد، ثم أرسل إلى عمر فقال: إن رسول اللهﷺ يأمرك أن تسد بابك الذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أني أرغب إلى الله تعالى في خوخة (فرجة) في المسجد. فأبلغه معاذ ما قاله عمر، ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة. فسدَّ بابه وخرج من المسجد، ثم أرسل إلى حمزة رضي الله عنه فسد بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله وعليعليه السلام على ذلك متردد لا يدري أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ وكان النبيﷺ قد بنى له في المسجد بيتاً بين أبياته، فقال له النبيﷺ: أسكن طاهراً مطهراً، فبلغ

وكيف تغيّر الإمرة سجيته وما برح أميراً؟

لم يستفد بالخلافة شرفاً، ولا اكتسب بها زينة، بل هو كما قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف (بالمنتظم) قال: تذاكروا عند أحمد خلافة أبي بكر وعلي وقالوا، وأكثروا فرفع رأسه إليهم وقال:

قد أكثرتم، إن علياً لم تزنه الخلافة لكنها زانها. وهذا الكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازداد بالخلافة وتمت نقيصته، وأن علياً لم يكن فيه نقص يحتاج إلى أن يتم بالخلافة وكانت الخلافة ذات نقص في نفسها، فتمّ نقصها بولايته إياها.

ومنها: إن الغالب على ذوي الشجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلي الصفح، بعيدي العفو، لأن أكبادهم واغرة، وقلوبهم ملتهبة، والقوة الغضبية عندهم شديدة، وقد علمت حال أمير المؤمنين عليه السلام في كثرة إراقة الدماء وما عنده من الحلم والصفح ومغالبته هوى النفس، وقد رأيت فعله يوم الجمل.

ومنها: ما رأينا شجاعاً جواداً قط... وقد علمت حال أمير المؤمنين في الشجاعة والسخاء كيف هي؟

وهي من أعاجيبه عليه السلام... إلى آخر كلامه.

وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوي انقباض في الأخلاق وعبوس في الوجوه ونفار من الناس واستيحاش.

وعليعليه السلام كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم، وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً بأيام الله ومثلاته وأشدهم اجتهاداً في العبادة، وآداباً لنفسه في المعاملة.

وكان مع ذلك ألطف العالم أخلاقاً، وأسفرهم وجهاً، وأكثرهم بشراً وأوفاهم هشاشة وبشاشة، وأبعدهم عن انقباض موحش أو خلق نافر، أو تجهّم مباعد، أو غلظة وفظاظة ينفر معهما نفس، أو يتكدر معهما قلب، حتى عيب بالدعابة.

ولما لم يجدوا فيه مغمزاً ولا مطعناً تعلقوا بها (الدعابة)، واعتمدوا في التنفير عنه عليها، وهذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة.

ومنها: إن الغالب على شرفاء الناس ومَن هو من أهل السيادة والرئاسة أن يكون ذا كبرٍ وتيه وتعظُّم، وخصوصاً إذا أُضيف إلى شرفه من جهة النسب شرفه من جهات أخرى.

وكان أمير المؤمنينعليه السلام في مصاص الشرف ومعدنه، لا يشك عدو ولا صديق أنه أشرف خلق الله نسباً بعد ابن عمه (صلوات الله عليه) وقد حصل له الشرف غير شرف النسب جهات كثيرة متعددة، وقد ذكرنا بعضها ومع ذلك كان أشد الناس تواضعاً لصغير وكبير، وألينهم عريكة، وأسمحهم خلقاً، وأبعدهم عن الكبر، وأعرفهم بحق.

وكانت حاله هذه حاله في كل زمانيه: زمان خلافته، والزمان الذي قبله، ما غيّرت سجيته الإمرة، ولا أحالت خلقه الرئاسة وكيف تحيل الرئاسة خلقه وما زال رئيساً؟

علي عليه السلام يوم الخندق ٩٣
علي عليه السلام يوم خيبر ١٠٣
علي عليه السلام يوم حنين ١١١
الليلة السابعة ١١٣
علي عليه السلام والقرآن ١١٣
علي عليه السلام يوم المباهلة ١١٩
صورة أُخرى للمباهلة ١٢٠
علي عليه السلام يتصدق بالخاتم ١٢٧
(صورة أُخرى لنزول الآية) ١٢٩
(صورة ثالثة) ١٣٠
الليلة الثامنة ١٣٣
علي عليه السلام في سورة هل أتى ١٣٣
مفاخرة علي عليه السلام والعباس ١٣٩
آية النجوى ١٤٠
الليلة التاسعة ١٤٣
علي عليه السلام والعلم ١٤٣
علي عليه السلام والخطابة ١٥١
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش ١٥٢
من خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ١٥٣
الليلة العاشرة ١٦٥
علي عليه السلام والفضائل النفسية ١٦٥
علي عليه السلام واليقين ١٦٩
علي عليه السلام والحفظ ١٧٠
علي عليه السلام والتعطف ١٧١
علي عليه السلام والحق ١٧٢

الفهرس

الإهداء ٥
المقَدّمَة ٧
الليلة الأولى ١٣
عَليّ وَليدُ الكَعْبَة ١٧
الليلة الثانية ٢٣
علي أوّل المسلمين ٢٣
أبو طالب حامي الرسول ٣٥
الليلة الثالثة ٤٣
علي ليلة المبيت ٤٣
الليلة الرابعة ٥٧
علي عليه السلام والهجرة ٥٧
الليلة الخامسة ٦٣
اقتران النورين ٦٣
الليلة السادسة ٧٧
علي عليه السلام والجهاد ٧٧
علي عليه السلام يوم بدر ٨١
علي عليه السلام يوم أحد ٨٥
علي عليه السلام يوم بني النضير ٩١

علي عليه السلام والغنى ١٧٣
علي عليه السلام والعفو ١٧٤
علي عليه السلام والحكمة ١٧٥
علي عليه السلام والزهد ١٧٧
علي عليه السلام والعفة ١٨٢
علي عليه السلام والتواضع ١٨٤
علي عليه السلام والحلم ١٨٧
علي عليه السلام والمواساة ١٩١
علي عليه السلام والكرم ١٩٣
علي عليه السلام والعدل ١٩٦
علي عليه السلام والعبادة ٢٠٢
علي عليه السلام وطلاقة الوجه مع المهابة ٢٠٥
الليلة الحادية عشرة ٢٠٧
علي عليه السلام والخصائص ٢٠٧
خبر الطائر المشوي ٢١٧
حديث الطائر بصورة أُخرى ٢٢١
حديث المنزلة ٢٢٣
المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ٢٢٩
بين رسول الله وعلي عليه السلام ٢٣٢
وهي خمسون مصدراً ٢٣٢
سورة براءة ٢٣٤
وهذه صورة أخرى ٢٣٦
علي عليه السلام يكسر الأصنام ٢٣٩
حديث سد الأبواب ٢٤١
الحديث بلفظ آخر ٢٤٢

مكتبة الروضة الحيدرية

موسوعة الإمام علي (ع)

الإمام علي (ع) من المهد إلى اللحد I